عــــود الــنــــد

مجلة ثقافية فصلية
ISSN 1756-4212
الناشر: د. عدلي الهواري
العدد الفصلي 14 :: خريف 2019



ملك مطر

البيئة في الأعمال الأدبية ونقدها

ملف: بسام الشكعة الإنسان

قصص :: إصدارات جديدة

المحتويات

د. عدلي الهوّاري

كلمة العدد الفصلي 14

حتى لا تتكرر خيبة الأمل



ذكرتنا المسيرات الشعبية في الجزائر والسودان احتجاجا على نية الحاكمين مواصلة الحكم إلى يوم الوفاة بالمسيرات الشعبية التي شهدتها دول عربية عدة في عامي 2010-2011.

من الواضح من مسيرة الأحداث منذ عام 2010 أن الحكام يرفضون قبول فكرة الحكم لفترة محدودة، وتداول السلطة سلميا وديمقراطيا كل بضع سنوات. وفي المقابل، يكرر الحراكيون الوقوع في خطأ التعويل على تحركات جماهيرية تريد أن تمارس السياسة دون أحزاب، واستبدال هذه بعنفوان الشباب والتكنوقراط من أصحاب المهن الطبية والهندسية وغيرها.

في عام 2019 تكررت مشاهد حدثت أمام أعيننا في عام 2011. يحدث في البداية نجاح مؤقت يتمثل في إزاحة رأس الدولة عن الحكم، ولكن تبقى كل مؤسسات الحكم كما هي، وتظهر لبعض الوقت أنها متسجيبة لرغبة الجماهير في التغيير، وتشهد البلاد انتعاشا في ممارسة الحرية. وبعد ذلك تعود إلى الأمور إلى ما كانت عليه وأسوأ.

قيل في معرض الحديث عن التحركات الجماهيرية في الجزائر والسودان إنها تعلمت من أخطاء تحركات عام 2010-2011. ولكن لا يبدو لي أن هذا القول صحيح. الحراك الجماهيري القادر على إحداث تغيير عميق بحاجة إلى أحزاب سياسية لها قواعد شعبية. وحتى هذه سوف تكون مهمتها عسيرة لأنها ستواجه مقاومة شديدة من مؤسسات الحكم، وخاصة الجيش والمؤسسات الأمنية المختلفة. ولذا يجب أن يخشى الحراكيون فكرة الاستغناء عن الأحزاب،

والشباب الذي لا يريد أحزابا سيجد عاجلا أو آجلا أن العنفوان ليس كافيا لجعل النجاح المؤقت نجاحا دائما.

والتغيير أيضا لا يتم على أيدي أفراد من أصحاب الشهرة، كالفنانين. يحاول الفنانون الأميركيون كل أربعة أعوام التأثير على الناخب الأميركي ليختار مرشحا ما وليس آخر. ولكن رغم وقوف مختلف الأطياف في الولايات المتحدة ضد انتخاب دونالد ترمب، إلا أنه تمكن من الفوز، وساعده على ذلك قدر كبير من الحظ، لأن النظام الانتخابي الأميركي لا يعتمد على أغلبية أصوات الناخبين.

اهتمام الشباب بأوضاع بلادهم، والسعي إلى التخلص من الدكتاتورية والقمع في البلاد أمر يستحق التقدير والإعجاب. ولكن السياسة هي المجال الوحيد الذي لا يمكن ولا يعقل أن تمارس دون أحزاب سياسية، فعندئذ تكون السياسة من النوع المعقم. والدول لا يمكن أن تكون ديمقراطية عندما تكون الأحزاب فيها محظورة أو معرضة لقيود تعرقل العمل بين الجماهير، وممنوعة من تولي السلطة وتداولها سلميا وديمقراطيا.

العمل السياسي مسؤولية كبيرة تحتاج إلى تنظيم وهياكل وبرامج لخدمة الجماهير. شجاعة النزول إلى الشوارع تستحق الإعجاب، ولكنها لا تكفي وحدها. حتى يكون التغيير المنشود في أوضاع الدول العربية عميقا وشاملا، لا بد من مشاركة الأحزاب السياسية من مختلف الاتجاهات في العمل السياسي دون قيود منافية للديمقراطية.

من غير الواقعي توقع حدوث تغيير إيجابي دائم في الدول العربية دون مشاركة الأحزاب، أو استبعاد أحزاب ذات اتجاهات معينة، والسماح لأخرى بالعمل، أو الاعتقاد فعلا أن جهود عدد من الفنانين أو التكنوقراط سوف يقود إلى هذا التغيير. ومن غير الواقعي أيضا توقع حدوث نجاح عميق ودائم نتيجة هبات جماهيرية لا قيادة ولا هياكل ولا برامج لها.

ثمة تشابه بين نظم الحكم التي اعتمدت على حزب واحد، وتلك التي تسمح بتأسيس أحزاب ولكنها تفرض قيودا على عملها بحيث يصبح وجودها شكليا، وتلك التي لا تسمح بوجود أحزاب. كل نوع يحتكر السلطة والعمل السياسي بطريقته.

كما أن السعي إلى تغيير الأوضاع في الدول العربية يجب ألا يكون المقصود به فقط حرية للفئات المتحررة من المجتمع، مثل الفنانين في مختلف مجالات الفن، بل يجب أن تكون الحرية للجميع، وهذا يتم بتطبيق حقوق أساسية

متعارف عليها عالميا، مثل حريات الرأي والتعبير والاعتقاد. في الدول حيث الحريات الأساسية متوفرة للجميع، يذهب من يريد إلى دور العبادة، ويذهب من يريد إلى دور السينما.

آمل أن نتحدث في المستقبل القريب عن تطور الأوضاع في السودان والجزائر، وغيرهما من الدول العربية، إلى الأفضل. ولكن تجارب الماضي وتحليل الواقع في العالم العربي يجعل الإنسان ذا التفكير النقدي غير قادر على الإغراق في التفاؤل، فالخيبة إن حصلت في المستقبل ستكون أكبر من حجم التفاؤل الذي ساد وقت تحقيق النجاح المؤقت.

د. نجود ربيعي

لم يعد ثـمّة عطر إلا في القوارير

تحليل بيئي لقصة لميسلون هادي

«اختفى رحيقُ الأرض فلم يعدْ ثـمّة عطر إلا في القوارير»

(ميسلون هادي، قصة عطر الوردة).

تثير فينا قصة «عطر الوردة» لميسلون هادي الرغبة لتأمل حالة البيئة في ظل الأوضاع المعادية للبيئة. فالتدمير، في العراق، لم يقتصر على الإنسان والجوانب المادية وإنما طال حتى البيئة. الحرب المتواصلة منذ سنوات، نشرتْ آلاف الأطنان من المواد السامة على هذا البلد، فلم تنجُ البيئة من التلوث الذي طال الماء والهواء والأرض وجميع المخلوقات. والقصة تتحدث عن هذه الكارثة من خلال النحل وثورته على الإنسان ومحاصرته في منزله وخلف نوافذه. الحرب إذن حاضرة بوصفها سببا ونتيجة لكلّ هذا التدمير الذي أصاب البيئة، ومنها النحل الذي يجهل الناسُ عظَمة وجوده وأهميته بالنسبة لاستمرار الحياة على هذا الكوكب. وتقدّم القصة شخصيتين «الزوج وزوجته» يرمزان إلى حالة المجتمع بين مُدرك لخطورة القضاء على النحل والآخر غير مُدرك ولا يبدو أنّه يعي خطورة ما يفعله وما يتسبب به في تدمير البيئة.

يعود الفضل طبعا للنقد البيئي الذي جعلنا نقف على أهمية الأعمال الأدبية التي تعالج مشكلة من مشاكل البيئة. فهذا النقد يقوم بالكشف عن « الأبعاد البيئية للأدب (...) فالإيكولوجية تبدأ من الاقتناع بأن فنون الخيال ودراستها بحكم فهمها لقوة الكلمة والقصة والصورة في تعزيز الاهتمام البيئي وإحيائه وتوجيهه، يمكن أن تسهم إسهاما كبيرا في فهم المشاكل البيئية»[1]. ويهتم النقد البيئي «بالعلاقات بين الكائنات الحية في بيئتها الطبيعية فضلا عن علاقاتها

بتلك البيئة. وقياسا على ذلك فإن النقد البيئي يُعنى بالعلاقات بين الأدب والبيئة أو كيفيّة تمثيل علاقات الإنسان ببيئته المادية في الأدب»[2].

وعلى الرغم من المكانة القدسية للنحل في تراثنا، فهناك سورة كاملة في القرآن سميت باسمه، إلا أنه لم ينجُ من الإبادة المباشرة باستعمال المبيدات، وغير المباشرة بتصحير البيئة التي يعتاش منها كالحدائق والبساتين وغير ذلك. قال تعالى: «وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَة لِّقَوْم يَتَفَكَّرُون»[3].

وذكر الجاحظ القيمة الاقتصادية للنحل واستعمالاته في الحياة اليومية في ذلك الزمان كمادة حافظة، ففي كلامه عن منتوج النحل من العسل أشار إلى أنه ليس للأكل فقط بل يساعد على حفظ اللحم «إذا ألقي في العسل اللحمُ الغريض (الطري) فاحتاج صاحبه إليه بعد شهر أخرجه طريا لم يتغيّر»[4]. وكان يُسمى النحل عند العرب بـــ: «ذباب العسل»[5].

وقد ذكر المفسّرون بعضا من طباع «ذباب العسل» كحصوله على غذائه وما ينتجه من عسل فيه شفاء للناس. جاء في تفسير قوله تعالى: (ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ) «أنها تأكل النوّار من الأشجار»[6] في إشارة إلى طبيعة غذائها وحاجتها إلى الأزهار التي تتنقلّ عليها، فهي لا تأكل الخضروات وإنما هي بحاجة إلى النوّار والأزهار. كذلك جاء في الآية ذكر أنواع العسل المختلفة تبعا لأنواع الأزهار المختلفة في إشارة إلى أن العسل أنواع مختلفة تبعا لاختلاف الأزهار المزروعة، وفي إشارة إلى أهمية التنوع في الأزهار لضمان نوعيات مختلفة من العسل (يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ) حيث ذكر القرطبي:» مختلف ألوانه، يريد أنواعه من الأحمر والأبيض والأصفر والجامد والسائل والأم واحدة والأولاد مختلفون دليل على أنّ القدرة نوّعتهُ بحسب تنويع الغذاء كما يختلف طعمه بحسب اختلاف المراعي»[7].

ولم يغفل الشعرُ النحلةَ كدليل من دلائل القدرة، واستعمالها في نطاق الحكمة الرمزية، فقد أفرد أحمد شوقي قصيدة كاملة باسم «مملكة النحل» استعرض فيها الدروس والعبر التي يأخذها الإنسان من هذه الحشرة الدؤوبة والمخلصة في عملها. وأشار إلى تنقلها بين الأزهار ليؤكد أهمية الزهرة في وجود هذه الحشرة وكيف أن وجودها هو الحد الفاصل بين بقاء هذه الحشرة مع بقاء فوائدها للإنسان وبين موت هذه الحشرة بانعدام الأزهار وما يصاحب

موتها من تدمير لحياة الإنسان الغذائية وكذلك في تدمير حياة الحيوانات التي تعتاش على العشب وتحتاج إلى تلقيح النحل لعشبها وبذلك سيحدث خلل في توازن منظومة الغذاء بشكل عام. قال أحمد شوقي:

وتذهبُ النحلُ خفا == فا وتجيءُ موقّرة

جوالبُ الشمع من الـ == الخمائلِ المنوّرة

حوالبُ الماذيّ من == زهرِ الرياضِ الشيّرَة[8]

فهذه الحشرة لا تحصل على رحيقها إلا من الحدائقِ والحقول المزهرة ومن ثمّ تصنع العسل وتقدّمه للإنسان ليتغذّى عليه وليستعمله في الشفاء من أمراضه كما ذكر في الآية السابقة (فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ).

إن الأدب، ومنه قصة ميسلون هادي، يتأثر بالدراسات التي يجريها العلماء والباحثون على البيئة ومخلوقاتها ونباتاتها لاكتشاف أهميتها ودورها في حياتنا، وعلاقتنا بها. ففي دراسة أجريت في جامعة طرابلس لمعرفة دور النحل في تلقيح بعض محاصيل الخضر كالبطيخ والفلفل والطماطة والباذنجان حيث منحت كل تلك المحاصيل تلقيحا إضافيا بواسطة نحل العسل فوجدت الدراسة زيادة في إنتاج الخضروات بنسب كبيرة[9]. إذ تكشف الدراسة عن دور النحل في تكاثر النباتات من خلال علاقة تبادلية يقدّم النحل فيها خدمته للنباتات والبيئة من خلال حاجته للطعام فهو «يحتاج كأي كائن حي إلى المواد الكربوهيدراتية والبروتينات والمعادن والماء لنموه وتطوره وتكاثره ويحصل عليها خلال جمعه للماء والرحيق ولذلك فإن الأهمية الاقتصادية لنحل العسل تكمنُ في تلقيح الأزهار وزيادة الإنتاج حيث يساهم بإتمام 90% من عمليات التلقيح الخلطي ويحسّنُ من إنتاج الفاكهة والخضـــروات» [10].

إن هذه الحقيقة الاقتصادية المصيرية المتعلقة بالأمن الغذائي، تكاد تكون غائبة عن الثقافة العربية التي تحتاج إلى نشرها بين شرائح المجتمع. وأكدت دراسات أجريت في مصر إلى أن النحل مسؤول عن إنتاج ثلث الغذاء في العالم[11]، وللنحل أنواع عدة منها النحل الطنّان حيث يعدّ من أهم أنواع الملقّحات وقد تمّ استخدامه داخل البيوت الزجاجية المغلقة والمخصصة لزراعة الطماطم فهو يتمكّن من زيارة 30-40 زهرة في الدقيقة الواحدة بما يقوم به من اهتزاز أثناء تنقله من زهرة إلى أخرى. وأثبتت الدراسات أنه كان أكثر فعالية

في تلقيح الأزهار من الاهتزاز الميكانيكي لذلك أخذ بعض المزارعين يضعون خلية للنحل في البيوت الزجاجية المغلقة للتسريع في عملية التلقيح[12].

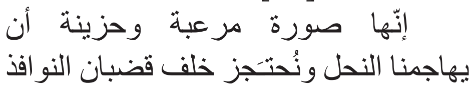
بما أن الإنسان يشاطر الحيوانات والحشرات والنباتات العيش على هذا الكوكب ويؤثر ويتأثر بما حوله سلبا وإيجابا، فقد أثبتت الدراسات أن التلوث الذي يحصل في البيئة يلقي بظلاله على الإنسان والحيوان والنبات معا. وصنّفت الدراسات أنواع التلوث بـ: التلوث الإشعاعي والتلوث بالنفايات الصناعية فضلا عن التلوث بالكيمياويات الزراعية[13]. تعدّ المبيدات التي يستخدمها الإنسان في قتل الآفات والحشرات التي تضرّ بالنباتات سلاحا ذا حدّين فهي من جهة تساعد على قتل الآفات والحشرات التي تضرّ بالنباتات، ولكنها في الوقت نفسه تسهم بتوجيه الضرر لحشرات أخرى تتغذى على تلك النباتات كما هو الحال مع عسل النحل[14]، حيث تقوم بعض هذه المبيدات بقتل حشرة النحلة، ومنها ما يؤثر بشكل سلبيّ على العسل وجودته. وقد أظهرت التحاليل المختبرية الحديثة وجود متبقّيات للمبيدات المختلفة في عسل النحل إذ تعْلَقُ جزئيات المبيد بشغّالات النحل أثناء تغذيتها على رحيق الأزهار للنباتات المرشوشة وقد يؤدّي تراكم المبيد داخل الخلية إلى هلاك الشغّالات[15].

أكّدت البروفيسورة ماريا سبيفاك (Maria Spivak) المختصة بالنحل كل المعلومات السابقة في محاضرة لها مستخدمة تقنية الصورة لتذهل الحاضرين بآثار النحل حينما عرضت صورة لأحد المحلات المختص ببيع الفاكهة والخضروات. وتُظهرُ الصورة المحلّ وهو ممتلئ بأنواع لا حصر لها من المنتوجات الزراعية في حالة وجود النحل، ولتنقلنا بعدها مباشرة إلى صورة أخرى للمحل نفسه بثلث المنتوج فقط، والسبب يعود إلى عدم وجود النحل، ولعلّ الصورتين المتباينتين اللتين استعملتهما ماريا سبيفاك تقابلان شخصيتي القصّة حيث الإدراك الأول يؤدي إلى ازدهار الأسواق «الحياة» والإدراك الثاني الذي سيؤدّي إلى صورة موحشة «المحل الفارغ» تقريبا، وهي صورة مُفزعة للحياةِ بعدم وجود النحل. وهي تشرح بلغة علمية كيف أن النحل يلقّح محصولاتنا ليس رغبة في التلقيح، وإنما كي يتغذّى ويأخذ البروتين الذي يحتاجه من الأزهار. ولكنه بهذه الحركة يساعد على نقل التلقيح من زهرة لأخرى لينعم الإنسان بثمار من الفواكه والخضروات[16].

وأشارت سبيفاك إلى حقائق علمية وعملية عدّة بدأت بعض البلدان اللجوء إليها من خلال استعمال الهزّاز اليدوي الآلي بسبب عدم وجود النحل أو قلته، وهذا يعني اللجوء إلى الآلة لرفع فعالية التلقيح، ويتطلب هذا الشيء الكثير من

الأيدي العاملة والأموال.، في حين كان النحل يقوم بهذه الخدمة بشكل مجاني للإنسان فضلا عن تقديمه العسل أيضا.

عالجت قصة «عطر الوردة» مشكلة البيئة وخلوها من الأزهار والنباتات وانعكاس هذا على النحل وما ينجم عنه من نتائج ضارة على حياتنا من خلال رسم مشهد دراماتيكي لما يشبه ثورة يقوم بها النحل:



«آذار شهر الربيع وتفتّح القدّاح والأزهار. وأسراب النحل التي خُلقت للتجول بين الحدائق، والتنقل من زهرة إلى أخرى لامتصاص الرحيق، راحت تنطح زجاجات نوافذ البيت، وأزيزها يملأ الفضاء، متّجهة لمصدر العطر الوحيد، الذي لم يعد ينطلقُ من مروجِ الأرضِ وشُجيرات الوردِ، بل من القواريرِ التي يحفظها البشر داخل البيوت»[17].

إنّها صورة مرعبة وحزينة أن يهاجمنا النحل وتُحتَجز خلف قضبان النوافذ وزجاجها، التي ستكون صورة لحياة دمرتّها الحرب والجهل بأهمية وقيمة الحفاظ على البيئة ومخلوقاتها. صحيح أن القصة تسرد لنا ثورة النحل، لكنّها من ناحية ثانية تُضمِّن المشهدَ إشارة رمزية إلى التدمير والضرر الذي أصاب حياتنا بعد سلسلة الحروب والكوارث والسموم. وهذا ما أرادت أن تقوله هذه الجمل، فما الإشارات التي يمكن أن يستنتجها القارئ؟ هل الأمر يتعلق بوجود النحل والعسل أو عدمه، أم هناك أشياء أكثر خطورة من ذلك؟

لا شكّ أن الأمر أكبرُ بكثير من ثورة النحل المتخيّلة في القصة. فالظروف الاقتصادية الصعبة وظروف الحروب والبطالة جعلت الإنسان يفكر بمكان صغير يسكن فيه ويتخلّى عن باقي الأرض التي كانت في السابق تُخصّص ُكحدائقَ مُلحَقة بالبيوت وعامرة بالأزهار والأشجار المثمرة. فهذه المساحات الضيقة والبناء العمودي وتقسيم قطعة الأرض الواحدة إلى أجزاء صغيرة، أدى إلى تشييد البيوت الصغيرة التي لا تتجاوز الخمسين مترا والاستغناء عن مفهوم الحديقة الذي كان في السابق جزءا لا يتجزأ من البيت العراقي، مما أدى إلى عدم وجود إمكانية لزراعة وردة واحدة فضلا عن تحوّل الآلاف من

الأمتار من البساتين والمزارع والحقول إلى مناطق سكنية وانعدام الزراعة.

كل هذه الأمور أضرّت بالبيئة وجعلت النحل في مفترقِ طرق بين الموتِ والحياةِ في مشهد فنطازيّ جعله يقوم بثورة متخيّلة فيتحولُ إلى وحش يهاجم نوافذ المنازل التي تُخبئ العطور الاصطناعية داخلها ويقوم بكسر الزجاج بمجرّد أن يشمّ تلك الرائحة الاصطناعية، مما جعل الإنسان يشعر بالذعر والخوف من خلال بطل القصة وزوجته وهو يوجّه لها اللوم بسبب استعمالها للعطر بطريقة تدلّ على هلعهِ وخوفه بحيث أنّ الزوجة خافت من صيحةِ زوجها الجبّارة التي اخترقت سمعها كالرمحِ أكثر من خوفها من اقترابِ النحلِ رويدا رويدا[18]. وجعل الزوجة تشعر بالارتباك وهي تفتش عن هاتفها طلبا لنجدة أمها ورغبة في الاتصال بالشرطة[19].

كذلك وجّهت القصة أصابع الاتهام إلى الإنسان المدمّر للطبيعة فالزوج قد اقترح إشعال النار كي يقوم بالتخلص من النحل لأن الدخان يطرد النحل «وإن للنحل آفات تقطعه عن عمله منها: الظلمة والغيم والريح والدخان والماء والنار»[20] فلم يكتفِ الإنسان بعدم توفير البيئة المناسبة لهذه الحشرة، بل استمرّ بإصرار على إنهاء وجود هذه الحشرة باستخدام الدخان متناسيا أن تدميرها يعني دمار الإنسان نفسه ويعني تهديدا لغذائه.

في الوقت الذي تعي فيه إحدى الشخصيات سبب هروب وتناقص النحل حينما قالت في لحظة الفزع: «ليست القوارير هي السبب، بل الهواء الأسود المسموم»[21]، الهواء الذي أصبح ملوثا بسبب الحروب وكثرة الاحتراق غير المنتظم وانبعاثات المعامل والمكائن والنفط والبنزين والديزل ومولدات الطاقة في ظل أزمة الطاقة الكهربائية التي تضرب البلاد. ومع هذا اقترحَ الزوجُ، الشخصية الثانية في القصة، فكرة إشعال الدخان ليزيد من سموم الهواء.

وهناك اعتراف ضمنيّ آخر من الشخصية الرئيسية: «اختفى رحيق الأرض فلم يعد ثمة عطر إلا في القوارير»[22]. وبالنظر إلى قتامة هذه الصورة سيتعرّف قرّاء القصة على ما يقوم به الإنسان من تصرفات غير واعية وغير مُدركة لخطورتها التي تؤدّي بالنهاية إلى تدمير بطيء لهذا الكوكب. لكنّ هذه الصورة القاتمة يمكن أن تتغيّر كما تقول ماريا سبيفاك، ويمكن للإنسان نفسه أن يعيد التوازن لبيئته, والحل بسيط جدا على حدّ قولها: « ليزرع كل إنسان زهرة واحدة» فهي كفيلة بإعادة التوازن لهذه البيئة وإنعاش حياة النحل الذي « يعتبر من أقدم الحشرات الاقتصادية والصديقة للإنسان، فنحل العسل هو المصدر الأساسي والوحيد لعسل النحل والشمع والغذاء

الملكي»[23]، وفي النهاية سيكون الإنسان هو المستفيد الأكبر: زراعة زهرة واحدة في وعاء ووضعها أمام البيت، أو زراعة الساحات والأرصفة أو زراعة الحقول والمروج ستعطي جمالا ورونقا للحياة وستجعل الإنسان يتمتّع بمنظرها وبجمالها وسيجني الفوائد، ولن يكلفه الأمر أكثر من زراعة زهرة واحدة. فهل سيتمكن الإنسان أن يصغي إلى هذا النداء لإنقاذ بيئته؟

الهوامش

[1] لورنس بيل وأورسولا هيس وكارين ثورنبر. ترجمة معتز سلامة، الأدب والبيئة، مجلة فصول، ع 102، 2018، ص 336.

[2] جيليكا توشيتش. ترجمة: سناء عبد العزيز، النقد البيئي « دراسة بينيّة في الأدب والبيئة»، مجلة فصول، ع 102، 2018، ص 328.

[3] سورة النحل. الآيتان 68-69.

[4] الجاحظ. تهذيب كتاب الحيوان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1983، ص 115.

[5] ابن منظور. لسان العرب، بيروت، لبنان، دار صادر، مج 11 ص 649.

[6] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، لبنان، مؤسسة الرسالة، 2006، ج 12، 366.

[7] المرجع السابق، ص 367.

[8] أحمد شوقي. الشوقيات، مصر، مؤسسة هنداوي، 2012، ص 199.

[9] مصطفى محمد المحجوب الفيتوري. دور النحل في تلقيح بعض محاصيل الخضر، أطروحة ماجستير، جامعة طرابلس، ليبيا، كلية الزراعة، 2012.

[10] مسلم عاشور عبد الواحد العطبي. تأثير التغذية مختلفة المقادير في بعض جوانب الأداء الحياتي لطوائف نحل العسل، أطروحة ماجستير، العراق، جامعة البصرة، 2009.

[11] أيمن أحمد عويس. الذبابة الطفيلية (الزومبي) خطر جديد يهدد نحل العسل، مجلة النحالة العربية، مصر، مج 1، ع 1، 2015.

[12] ريم داوود ونصر شيخ سليمان. دراسة تأثير استخدام النحل الطنّان والكربون العضوي في تحسين نسبة عقد الأزهار وإنتاجية البندورة تحت ظروف الزراعة المحميّة، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، مج 36، ع 4، 2014، ص 173 180-.

[13] محمد صابر. الإنسان وتلوث البيئة، المملكة العربية السعودية، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، 2000، ص 29-39.

[14] حسن بن طالب اللواتي، وسها بنت حمود الحجرية تربية عسل النحل. دائرة الإعلام التنموي، المديرية العامة للبحوث الزراعية والحيوانية، سلطنة عمان، 2011، ص 49.

[15] محمود عبد الناصر علي. التلوث البيئي مشكلة اليوم والغد، التأثير السمّي للتلوث بالمبيدات الحشرية، مصر، مجلة أسيوط للدراسات البيئية، ع 33، 2009، ص 21.

[16] ماريا سبيفاك. ما سر اختفاء النحل؟ فيديو من سلسة محاضرات تيد (TED). يوتيوب:

https://www.ted.com/talks/marla_spivak_why_bees_are_disappearing/transcript?language=ar

شوهد الرابط بتاريخ: 2019/8/9

[17] ميسلون هادي. ماماتور باباتور، قصة عطر الوردة، العراق، دار الشؤون الثقافية، 2015، ص 16.

[18] المصدر السابق، ص 14.

[19] المصدر السابق، ص 15.

[20] ابن منظور. لسان العرب، بيروت، لبنان، دار صادر، مج 11، ص 699.

[21] ميسلون هادي. ماماتور باباتور، قصة عطر الوردة، ص 16.

[22] المصدر السابق.

[23] آمر إبراهيم توفيق. التعليم والتعلّم والديمقراطية في الحشرات، نحل العسل، مصر، مجلة أسيوط للدراسات البيئيّة، ع 41، 2015.

نازك ضمرة

غـيـاب



بينما كانت الأحلام تداعب عينيه، لاحت حمامة من مكان بعيد تحوم، تتجه صوبه، تهدئ من تحليقها، وتهوي قربه أسفل غصن رطيب فينان. تظاهر بعدم الاهتمام حتى لا تخشاه أو تجفل منه، لكن أنظاره لم تفارقها، تخطف روحه وتتخدر حواسه، تطير مبتعدة ثم تحط في مكان أمام ناظريه، تسري برودة في أوصاله.

أحسّ أنه معلقٌ مع ريشها، وكلما اقترب سرى به دفء وطعم أمان، تشاغلت عنه في هديلها، صار يسلي نفسه بعدها، ينزع بعض ريش الزغب يلهو به، وينثره على روحه التائهة يسترها.

تصادفه والدته مهموما في المساء، تسأله عن شكواه، قال: «إنها اليمامة يا أماه.» تفاجأت والدته لكنها تمالكت، طمأنته إنها أضغاث أحلام، مشى في الصحو والمنام، ووالدته تدعو له بالسلام.

تراوحت مسارات اليمامة، حطت بعيدا، هاجته آلام مبرحة، وفي أماكن متعددة، صاح «بطني. بطني. آلام تنكد عيشي.» قال الذين سمعوا صياحه:

= «إنه الجوع.» وآخرون قالوا «سحر أسود.»

فزاد اختلافا وهذى يقول:

= «ريش قوادم الحمامة المحلقة وخوافيها، برغم أنها منتوفة الريش، حمامتي حلقت ونأت، تراودني مجالات مكانها البعيد.»

لمسوا رأسه، هدهدوا ظهره ورقبته، بسملوا وحوقلوا، نصحوا أمه أن تعثر له على شيخ مغربي، أما شقيقته بقسوة انّبته، دفعته أحيانا وعنفته، حرضت الأولاد عليه ولعنته، انتهرتها أمها قائلة:

= «أنت طفلة وعلى أخيك حاقدة.»

تغيب شمس ذلك اليوم، ويظلم الليل، هاجت القرية وماجت، لم يبق مكان إلا ومروا به ولا ولدا إلا وسألوه، قال الكبار: « في الصبح ربح، ناموا لعله قضى ليله قرب جذع شجرة أو بين الأغصان.»

ظل يغني طول ليله، عد إلى أمك أيها الطفل. لتقدم لك عشاء يشفيك، هذا الزمان والمكان للذئاب وللغزلان، عد لبيتك بسرعة.

طال بحث أهله عنه في الزوايا والأركان، تساءلت أمه مع الجيران، وعيناها تكادان من محجريهما تقفزان، دارت الحارات هاتفة هاذية. أخذت معها ابنتيها سميرة وفادية، وكلما مشت لدقائق في اتجاه، دعت إحدى ابنتيها للسؤال عنه.

ملّ الآهل وتساءلوا: «أين ذهب الملعون؟ لا شك أنه مجنون».

قالت أخته: «يحب الحمام الجوال.»

انتهرتها أمها ثانية كعادتها: «هل أنت شقيقته حقا؟»

أثناء تحليقه متابعا يمامته، يراها تطير وتطير، تنأى عن كل من يعرف أوصافها، حلقت به بعيدا، رأى تضاريس جميلة، وجاور أماكن لم يألفها من قبل، أسعده التحليق والتشبث في هيكلها طول الليل، وحين حطت عند شجرة ضخمة عالية، جرّحته الأغصان المتشابكة، ازداد فزعا فتمسك بها وزاد من التصاقه، يطلّ الفجر ويجلي سواد الظلام، والشمس أنارت أعين الأرض.

أحسّ بجوع من جديد ومغص. «أين أمي؟» يشدد قبضته على جناحي اليمامة، ويبدأ رحلة العودة إلى أمه وأهله. وقبل أن تسأله أمه، احتضنته فرحة بعودته، بعدها سألته: «كيف اهترت ثيابك واعتراها البلى والتمزيق؟»

= «هيئي لي مكانا أرتاح فيه مع يمامتي يا أمي.»

وكلما سأل الأهل عنه، أجابت أمه: «لندعه يأخذ المزيد من الراحة مع يمامته.»

فنار عبد الغني

صبــاح



لم أكن أعرف عنها شيئا سوى اسمها: صباح.

صباح هو اسمها الحقيقي المكتوب في شهادة ميلادها. هو اسم غير شائع في مجتمعنا على وجه حقيقي، فكل النساء اللواتي أعرفهن يحملن ذات الاسم، كن يحملنه كاسم مستعار أو بديل لاسم آخر مكتوب في شهادات ميلادهن كاسم صبحية أو صبيحة أو صبحة، أمّا هي فقد حملت هذا الاسم بالفعل في شهادة ميلادها.

حسب اعتقادي أن والدها، رحمة الله علي، هو على الأرجح من اختار لها هذا الاسم. ويبدو أنه قد تفاءل بولادتها أو ربما كان معجبا بالفنانة صباح، التي كانت مشهورة جدا في تلك الأيام. وكان والدها قد اختار بيروت مستقرا له ولعائلته، ووجد في هذه المدينة، التي كانت بدورها مدينة للفنون المختلفة، بداية جديدة لحياته الجديدة، فكانت بالنسبة له هي الصباح.

قبل كتابة هذه السطور، لم أكن أعرف عن صباح سوى القليل الذي يكفي للكتابة عنها، القليل الذي بنيته من خلال ملاحظاتي الاستثنائية لها حين ألتقي بها، أو من خلال محادثاتنا المتقطعة البعيدة، القليل الذي يكفي للاعتراف بكونها إنسانة على درجة رفيعة من النقاء المفقود.

لم أر صباح منذ عرفتها إلا باللون الأسود. ألفتها داخل هذا اللون. يرتديها السواد من رأسها حتى قدميها. منذ أكثر من عشر سنوات وهي تعتصم بنفس اللون ونفس الهيئة وسط مجتمع لا هم ولا شغل ولا هدف له سوى تبديل مظهره الخارجي اليومي كما يتبدل ساعات الليل والنهار.

لم أستطع معرفة سر تعلق صباح بهذا اللون. وذهبت ظنوني في بداية الأمر أنها قد تعيش حالة من الحداد اللانهائي على عزيز فقدته. لكن بعد التأمل

الطويل في واقعنا الذي فاق المرارة في حدتها، وجدت أن اللون الأسود وحده أفضل رمز يمكن له التعبير عن حالات الإحباط والخذلان، لا بل وعن جميع الانهزامات والانكسارات التي لا نمتلك الحد الأدنى من الشجاعة للاعتراف بوجودها في حياتنا.

تحضر صباح مع الصباح، لا تستقدم دقيقة ولا تستأخر. مواعيدها مضبوطة بالفطرة. حين تأتي يكون نفر من الموظفين قد باشروا أعمالهم. وأرجو ألا يعتقد أحدٌ من القراء أو أي أحد من الذين لم ينغمسوا حتى الآن في دوامة العمل المضني بأن صباح إنسانة غير نشيطة أو أن زملاءها أكثر نشاطا منها. لا يظلمن أحد صباح بشكوكه، فالحضور المبكر جدا قبل ساعة العمل الرسمية بات في أيامنا من باب من سبق أكل النبق، وفي حالات أخرى هو من باب التلصص أو التزلف، وفي أضعف الحالات يكون لأسباب نفسية. ربما هناك من يجد في العمل هروبا أو متعة، لكن هؤلاء هم فئة نادرة.

لنعد الآن إلى بطلتنا صباح الدقيقة في مواعيدها. لم يكن يجذبها الوصول قبل الوقت المحدد، فالحضور المبكر يعني إنهاء الأعمال المطلوبة قبل الأوقات المطلوبة مما يؤدي إلى توفر ساعات عمل إضافية، حينئذ يتم انتزاع أعمال الزملاء الآخرين الذين يحضرون في أوقات العمل المحددة وإعطائها للفئة المفرطة في النشاط كأعمال إضافية.

لم تكن صباح لتنتمي إلى الفئة المفرطة في العمل أو الفئة التي تعد ساعات العمل والمال الذي ستجنيه كلما ازدادت ساعات العمل. لم يدخل المال في حساباتها على هذا النحو. لم تكن أنانية وجشعة. لم تفكر يوما بسلب حقوق الغير. كانت كبيرة النفس، تملك من القناعة والغنى الروحي ما يجعلها تترفع عن كل أي سلوك مشين.

لم أسمع صباح يوما تلقي التحية على أحد. لم أسمعها يوما تقول» صباح الخير» أو «بونجور» أو « صباحو» أو « نهاركم سعيد» أو» يصبحكم بالخير يا أوادم». تعيش صباح حالة نادرة من المصالحة مع الذات حيث تحظى بالصفاء النفسي، حالة استثنائية من السكون الداخلي الذي هو انعكاس للسكون الكوني. الأمر يتعلق بالسكون الكوني الذي يضفي عليها شعورا حقيقيا بتوقف الزمن. أنها تشعر بأن الزمن لا يمر رغم تعاقب الليل والنهار، إلا أن الحقيقة المذهلة تكمن في ثبات حقيقة الأشياء.

ما الذي يتغير هنا في هذا المجتمع إلا ارتفاع معدل الخيبات والحسرات والإحباطات؟ لم يعد هناك فرق بين صباح ومساء.

إن التحيات على غناها لن تغير مجرى الألم اليومي، فلو رددنا تحيات الصباح ألف مرة لن يتغير شيء على الإطلاق. كلها كلمات جوفاء لا تخرج من القلب. تخرج من الأفواه بشكل آلي، ومن قلوب طافحة بالكراهية، قلوب تعفنت من عدم الإحساس بالمحبة كما تتعفن الغرف المظلمة من الرطوبة.

«صباح الخير أيها الحزن» هي الكلام المناسب لكل ما نتجرعه من تعاسة. كانت صباح تدرك كنه هذه الحقيقة الغائبة، ولأنها صادقة، لم ترد أن تخدعنا بكلام لا يصلح أن يكون حتى ضمادة لجرح، وآثرت الصمت.

صباح هي المرأة المعجزة التي أجادت فن الصمت بامتياز. لقد طرحت عن نفسها جميع أبجديات العالم، برهنت بأن الإنسان يستطيع أن يبوح بكل ما يريد دون أن يحرك شفتيه. الصمت لغة مُتقدة حروفها. إنها اللغة المناسبة عندما نشعر بأن الكلام قد فقد وظيفته الحقيقة، ولم يعد يستخدم إلا للابتذال والنميمة والتزلف. عندما يصبح الكلام مجرد ضجيج بشري. في العالم ستة آلاف وخمسمئة لغة يتداولها البشر، ورغم ذلك فالصراعات الطاحنة مستمرة منذ فجر التاريخ.

صباح سيدة الصمت. تسترسل بالصمت، تقهر به سفاهة البشر وقسوتهم. ليت الصمت يصبح لغة عالمية، توحد البشر، ربما تذوب الأحقاد، ربما يغوص البشر في ذواتهم فيدركون أنهم من طبيعة واحدة، وجنس واحد، ونفس واحدة، وأن كل ما يسعون لتحقيقه من أهداف أنانية مصيره العدم، وأنه لا جدوى من الصراعات، فيندفعون لخلق عالم يملأه الحب.

تأتي في الساعة الثامنة على غير عجل، تمشي بكل ثقة، تحمل حقيبة يدها وحقيبة أخرى تضع فيها زجاجة ماء معدني وبراد ماء ساخن وأكياس شاي أخضر وبعض البسكويت الخفيف على المعدة. تنقل خطاها بشكل مستقيم، تدخل غرفة العمل، تضبط نظرها إلى الأمام، تجلس على كرسي خشبي غير مريح، تحضر أوراق عملها وأقلاما ملونة، تباشر عملها فور جلوسها على كرسيها، تحدق بأوراقها فقط، لا تلقي بالا على ما يقوم به الآخرون، لا تشاركهم أحاديثهم اليومية العادية، لا تصغي لأي شيء سوى لصوت سكونها الداخلي.

تركز، تشحذ طاقتها من أجل العمل، تعمل ببطء، لكن دون أي خطأ، تعمل بوجه زاده الصمت هيبة والصدق نقاء. تعمل دون شكوى، دون تذمر. بالصدفة عرفت منها أنها لا تزال موظفة مياومة رغم اقترابها من سن التقاعد.

تعمل بنفس مطمئنة وتنجز أعمالها بعد الوقت المحدد بدقائق قليلة، لا تستعجل لكيلا تتعثر، فالمال ليس هدفها الأول، فهي تكتفي منه بما يضمن لها حياة كريمة.

عرفتها إنسانة غاية في النبل، اعتقد أن حياتها الماضية سارت في هذا الاتجاه أيضا. هي إنسانة صادقة. تسكن في مدينة معظم نسائها من جبس وطين، وجوه شكلتها أيدي ومقصات الفنانين، شفاه مغلوظة وأسنان أكثر لمعانا من سيف عنترة وخدود منفوخة ورموش ملصوقة وحواجب مرسومة، ورغم ذلك لم تنزلق في متاهة التقنع وثبتت وحافظت على نقاء نفسها.

تعمل لتعيش بكرامة وحرية، هي إنسانة رائعة كوّنها الصدق، تعمل دون أن تنظر للساعة، دون أن تأخذ راحة طويلة في وقت الراحة حتى كوب الشاي الأخضر تشربه وهي تعمل. عند الساعة الرابعة تنهض بقامة ممشوقة، تحمل أغراضها بكل هدوء، وتمضي بعينين صامتتين ووجه لم يزده الصمت إلا وقارا.

نوزاد جعدان

الكأس السابعة



لم تعد تثق بشيء في هذه اللاجدوى التي تعيشها، لا تثق إلا بغرفتكَ وهي أيضا ليست ملكك إنما إيجار شهري من جيوبك الخاوية دائما، تحاول النوم، تتقلب، تعد أصدقاءك الذين ماتوا بدلا من عدّ الخراف؛ تلك الطريقة التي علمونا إياها في المسلسلات الكرتونية، تصادفك كوابيس مرعبة تحاول شنقها على حِبال الباميا التي كانت تعلقها جدتك أمام عتبة بيتكم في القرية، تلك التي تزوج فيها والدك في السابع من تموز عام 1977.

تعود لتحتسي من زجاجة الخمر بمنظرها الكئيب، تتجرع كأسك السابعة على الشرفة المطلة على مدينة عارية من كل شيء من الشجر والبشر. لا شيء من حولك سوى صحراء وبناء وحيد يضحك منه جيرانك على منظرك السكير، وأنت تزاوج بين كل الفنون المسرحية من بكاء وضحك وميلودراما ورقص وغناء، وأحيانا نوم على البلاط لتستيقظ صباحا برأس ثقيلة ومعدة مريضة وأنت لا تدري ما حصل البارحة ولا مع من تشاجرت على برامج الفيس بوك والواتس آب أو تعليقات جريئة لا تتجرأ عليها إلا وأنت ثمل.

نعم أنت الآن مع كأسك السابعة، وجارتك الجميلة في الطابق السابع بشعرها الأسود الطويل كقطيع ماعز فخم يتدلى على نهديها الجبليين، تلوح لك بيديها كي تتوقف بعد هذه الكأس، هي بمثابة مؤشر لك كي تتوقف عن الشرب. هذا الحال يتكرر بشكل يومي. لا إشارات بيننا سوى إنها تعدّ الكؤوس التي احتسيها وتراقب كل حياتي من شرفتها وأنا على شرفتي أو حجرة المطبخ المطلة على بيتها.

تغضب من نفسك في الصباح، وتلعن كؤوس الطلا وتتخذ وعدا مع نفسك

أن تتوقف عن هذا الانتحار البطيء، وخاصة عندما تعتريك نوبات الإدمان والرجفان أمام زملائك في العمل. تهرب إلى دورات المياه، تجلس نصف ساعة، تتحدث مع نفسك وتلعن كل كأس، تعود إلى المنزل وتستحضر صور الحرب التي دمرت بلادك والانقسامات التي حصلت في صفوف الشعب، وتزور وطنك على برنامج « غوغل إيرث». تقول لنفسك كم كنت جميلا أيها القصير حين كنتَ هناك تناضل من أجل حرية بلدك، أما هنا في منفاك لا طعم لشيء.

كان رصيف حارتكَ ناعما وكنتَ تسقط على وجهك كثيراً مع ذلك لم تكن تتألم، الآن في أبسط وقعة تتكسر الكثير من الأمور والأشياء، تذكر أصدقاءك الذين دفنتهم وإلى الآن تخطئ بقراءة الفاتحة على قبورهم، تتحدث مع أبيك وعائلتك. تغضب على الهاتف، فقد تحولت إلى مصرف بالنسبة إليهم، لا يتذكرونك إلا بطلب المزيد من النقود. تضحك مع نفسك: لقد سبّعتَ الكارات يا «سبع». هكذا كانت أمك تناديك.

تطهو الطعام بقرف كي تملأ معدتك وتكون مستعدة لكؤوس المساء، تحاول الاتصال بما تبقى من أصدقائك، ثم تعزف عن الفكرة وتتخذ الوحدة مرة أخرى أنيسة لك. تستبدل الأغاني. لا يروق لك شيء. تضع الكأس الأولى، تصبح كل النساء جميلات بنظرك وتشعر برغبة إلى أن تتقدم إلى أي واحدة حتى بنت عمك القبيحة لا يهم.

كل الأغاني تروق لك. لا استثناءات، ولا ضير مع تلك التي تخالف ذوقك القديم. كل الطعام لذيذ المذاق حتى تلك الوجبات التي كانت تحضّرها تلك الفتاة التي كانت تحبك وأنت هجرتها لأنك لا تتحمل نفسك، وكنت دائما تردد لها: «لك أنا تعباااااااان، أنا لو نظرت إلى نفسي في الصباح أقول لخيالي في المرآة اللعنة عليك».

أي حزن كان يعتريه من صنع الخمرة وأي سلطة تعذيب كان يكابدها. تردد طويلا أبيات الجواهري: «يا نديمي وصب لي قدحا واعرني حديثك المرحا». تصل إلى الكأس السابعة. تلوح لك جارتك. تدرك حينها أنك وصلت لحدك. تتوقف، وترجع إلى فراشك لتغط في نوم عميق.

* * *

في الصباح، وحين استيقظتُ كعادتي، عندما رنّ المنبه تمام الساعة السابعة وسبع دقائق، أحسستُ ببرودة ولزوجة تحت أرنبة أنفي. تحسسته. كان رعافا شديدا، مسحتُ الدماء الغائرة، واتجهت إلى عملي وأنا أفكر مليا

بالتخلص من هذه العادة التي تقودني إلى الموت، فكرتُ بالتغيير، وضعت جملة خطط كي أبدأ حياة جديدة، منها شراء ثياب جديدة وعطور والاتصال بحارس المبنى كي يجلب لي خادمة تنظف البيت القذر بالكامل، وأن أتغاضى عن التفكير بالأمور المؤرقة عبر إشغال نفسي بألعاب الفيديو والأفلام وقراءة الكتب.

خرجتُ من الدوام باكرا واشتريت كل أغراضي، كان الحارس بانتظاري ومعه الخادمة لتنظف البيت، تركتها تنظف المطبخ أولا، وأنا حاولت إلهاء نفسي بالألعاب والأفلام ولم أفلح، وأول ما تذكرته كأس الخمرة، سحبت الزجاجة من نمليّة المطبخ إلى غرفتي تمام الساعة السابعة مساء، وبدأت أتجرع الكؤوس الواحدة تلو الأخرى بدون حساب، وكذلك بدون مؤشري: جارتي التي كانت توقفني عند الكأس السابعة.

بدت لي الحياة حفلا شهيا وحقلا يحتوي أطيب أنواع الخضار. لا أعلم متى نمت أو كيف نمت، استيقظت في الصباح في الساعة السابعة وسبع دقائق ومعدتي تؤلمني جدا. تقيأت عدة مرات ثم زحفت إلى حوض السباحة وغسلت وجهي. كانت سحنتي صفراء جدا وكأن كل حقول الليمون جفّت على وجهي، فتحتُ باب المطبخ كي أرى ما نظفته الخادمة. رأيتها ملقاة على الأرض ومسجاة بدمائها، أفزعني المشهد جدا. لم أعد أعرف ماذا أفعل، اتصلت بحارس البناء كي يحضر، لكنه بدوره جلب الشرطة بمعيته لتكتب محضر الجريمة.

بعدئذ تم اعتقالي، فأنا المشتبه الوحيد، وزج بي في السجن وأنا أحلف لهم أن جارتي في الطابق السابع ترى كل شيء، فشرفتها تطل على المطبخ وهي أيضا تعد كؤوسي، كما أن هناك كاميرات مراقبة في البناء تستطيعون مراقبة من دخل إلى الشقة وأنا نائم.

لم يصدقني أحد، ثم صفعني الشرطي وهو يصرخ بأعلى صوته: «أيها المجرم، إن الشقة رقم سبعة في الطابق السابع من المبنى رقم سبعة مهجورة منذ سبعة أعوام».

أما أنا فما زلت أردد في العنبر رقم سبعة أن لي جارة تحصي كل شيء في حياتي وتردعني عند الكأس السابعة.

طه بونيني

الغائب



عانى إسماعيل بطالة ظالمة بداية التسعينيات. وبعد سنوات مدقعة، أتت الحلول تتوالى. فقد أسفرت بعض مسابقات التوظيف التي شارك بها، عن وظيفتين، إحداهما في مدينته، والأخرى في مؤسسة بترولية بعيدة في الصحراء الجزائرية. فاختار أكثرَهما دخلا، الثانية. بعد شهور قليلة، مكّنته وظيفته الجديدة من الزواج، ورزقه الله بعدها بـ«حبيب».

تطلّب العمل في وظيفة البترول أن تعمل شهرا وتنال شهرا إجازة، ومرّت سنوات على هذه الحال. ذات مرّة، عندما عاد إسماعيل إلى المنزل، كطير مهاجر يتفقّد عُشّه، قابله ابنه حبيب ذو الثلاث سنوات، عند الباب. رماه ابنه بنظرة فاحصة ثم ركض نحو أمه ليخبرها: « الرجل الذي يأتينا بالتفاح كل شهر، قد أتى...»

لم يعرف الطفل المسكين أنّ المُعيل الذي يأتيهم بالتفاح وأشياء أخرى كل شهر هو نفسه أبوه. واستاء الأب لِما صار يرمز إليه، ورغم ذلك لم يُثْنِه حبيب من الغياب مرّة أخرى. وبعد مُضيّ عام آخر، عندما رجع الأب إلى البيت في عطلته الشهرية، قابلته زوجته، ونادت ابنها: «تعال لترى أباك». هرع الطفل إلى الحاسوب، ليشاهده عبر برنامج سكايب، كما اعتاد أن يفعل عندما يتّصل بهم من مكان عمله. وظلّ ينتظر ظهور أبيه على الشاشة، بينما يقف مفجوعا عند الباب.

وظلّ أبواه يناديان عليه ليأتي، ثمّ ذهبا نحوه. فقال له الأب:» ها أنذا. أبوك»، فبكى حبيب وقال: «لا، أبي هنا» وراح يشير إلى شاشة الحاسوب، وواصل بكاءه في براءة قائلا: «لستَ أبي. لستَ بي».

بعد أيّام أيقن الطفل بأنّه حقّا أباه. لكنّ سرعان ما حلّ موعد الرحيل. وعاد إسماعيل ليسكن شاشة الحاسوب من جديد.

انصرم عام آخر ورُزق إسماعيل بابنة، سمّاها غالية. وشيئا فشيئا بينما تنمو، كرّرت نفس سلوكيات أخيها، ونفس التشتّت والضياع، تجاه أبيها، صاحب الوجه الذي تراه كثيرا طيلة شهر، ثم لا تراه بتاتا طيلة شهر آخر، وهكذا دواليك.

انقضى عامان آخران، وجرى حدث هام، كاد يقلب موازين الأسرة إلى الأبد. في لحظة صباحية بائسة، وبينما يحاول إسماعيل مغادرة البيت بهدوء ليسافر دون إحداث جلبة، حمل الحقيبة، فأحسّ بحركة غريبة داخلها. فتحها فإذا ابنته غالية في الحقيبة. إيماءاتها وكلماتها الصغيرة تقول: «أرجوك خُذني معك». أخرجها وعانقها طويلا. ثمّ أقسم ألا يحمل تلك الحقيبة أبدا، لاعنا إياها، وكل ما يتعلق بها من بعيد أو قريب.

بعد أسبوع من ذلك اليوم، عاد إلى العمل. حتى ابنته غالية لم تُفلح في ردّه عن ذلك.

عندما بلغ حبيب ستّ سنوات، كان قد تعوّد على غياب أبيه، بل صار يستحسنه. شهر الغياب هو شهر الحرية المطلقة. أمّا شهر عطلة الأب فهو شهر قد يتّسم بالنظام الزائد، على الأقل بالنسبة لحبيب ـ لكنّه مع ذلك، يتسم بالنشاط، والهدايا والتجوال، فالأب يحاول جاهدا تعويض الشهر الذي غاب فيه، بتدليل أبنائه أكثر من اللازم.

وظل الأمر هكذا لسنوات، وأسوأ ما جرى لإسماعيل خلالها أنّه صار يشعر براحة أكبر خلال غيابه عن أسرته، ففي قاعدة الحياة المعزولة في الصحراء، حيث يعمل، لا ضوضاء، ولا أطفال يقفزون فوق رأسه، ولا مشاكل الجيران، ولا شيء، إنّما العمل نهارا، ولعب الدومينو ليلا، والمَبيتُ المُريح والطعام الفاخر.

أمّا أسوأ ما أصاب حبيب وغالية فهو أنّ الزمن في حياتهما صار مشوّها، ذا إيقاع سريع: «جاء راح. جاء راح. جاء راح». أمّا حياتهما نفسها، فيحسّان أنّه ينقصها شيء مهمّ جدا. إذا سألتَهما: « ما ينقصُكما؟» لا يعرفان. وفي مكان عميق في أنفسهم، يدركان أنّ أباهما الذي تعوّدوا على غيابه هو الجزء المفقود.

ذات مرّة، جلس إسماعيل وحيدا في غربته، يستعيد ذكرى، ففي عطلته السابقة، طلب من ابنه الذي أتمّ اثني عشر ربيعا، المجيء معه في رحلة، فأجابه ابنه تلقائيا: «اصبر، سأطلب إذن أمّي وأعود». اشتعل إسماعيل غيضا، وأنكر

من ابنه هذا الفعل، قائلا في خلدِه: «كيف يستأذن أمّه وأنا أبوه؟». ثمّ كظم غيظه، وفكّر بتفاؤل:» لعلها ردة فعل إيجابية، تقيه المتاعب خارج البيت». وعندما أتى ابنه، أخفى عنه ذلك الشعور. خرجا معا وهو يحدّق فيه، ولسان حاله يقول: « غيابي يُقدّر بنصف عمره فكيف لا ألقى هذا الصدود؟»

استمرّت الحياة، واستفحل الحال. ولم يعد الراتب، ولا العطلة الشهرية، ولا الهدايا تخفي دمامة الحياة التي يعيشها، ويذيقها أسرته معه. كلّما انقضى غيابه الشهري، وحلّ كهلال على المدينة التي يسكنُها ولا يسكُنُها ـ تلمَحُه يمشي كغريب بين الناس. أصدقاؤه ومعارفه القدامى يتفادونه، لأنّ الرابط بينهم ضعيف هشّ، قضى عليه ذلك الإيقاع الزمني السخيف.

وما يسوؤه كثيرا ويؤلمه، أنّ قلوب أقاربه وجيرانه موغرة تجاهه، فهم يظنونه ملك زمانه. كيف لا وهو صاحب وِسام «الستّة أشهر عطلة في السنة»؟ أمّا هو وأسرته التعيسة، فلا يحسّون إلّا بالستّة أشهر الخالية من وجودهم ووجوده. حتّى بعض أصدقائه وأقاربه الذين لا يزالون يكنّون له الودّ، صاروا لا يدعُونه إلى أفراحهم. وحُجّتهم في هذا: «حَسِبناك غائبا في العمل»، فيجيبهم: «ماعليش، أتمنّى أنّ حفل الزفاف مضى بخير». ويواصل مشيته البائسة مُتجرّعا المرارة.

والأدهى أنّ ابنه دخل دوّامة المراهقة بقوّة. شجارات. آفات. وغضب غير مفهوم في كثير من الحالات. ولمّا علم إسماعيل، بما يجري مع ابنه، نظر إلى نفسه نظرة كئيبة، وهاله ما رأى. رجل عادي لا تميّزه أي موهبة، يتزوّج ويُضيّع نفسه وأولاده. حتّى زوجته التي كانت تُرقّع تلك الفراغات في حياة أبنائه، وتُحبّب أبيهم إليهم، أصابتها عدوى عدم الاكتراث. وبعدما ذادت طويلا، لاعبة دور المرأة والرجل، طيلة مدّة الغياب، طالها السأم، فصار شهر حضوره بينهم نكد، وكثيرا ما تسمع منها أو منهم: «اذهب إلى عملك في الصحراء، لنهنأ منك». وما أصعب وقع هذه الجملة على قلبه!

في ليلة هادئة، في غرفته بقاعدة الحياة، بينما يشاهد التلفاز ساهما بلا بصر ولا بصيرة، حمل الهاتف، وهمّ بالاتصال بزوجته، ثم توانى عن ذلك. وراح يخاطب نفسه:

المتشائم: «لنفترض أنك وجدتَ سكنا في المدينة التي تبعد أربعين كيلومترا من هنا، هل سيقبلون الانضمام إليك بعد كل هذا العمر؟ لقد تعوّدوا على غيابك. ألم يقولوا لك، اذهب إلى صحرائك، نحن لا نريدك؟»

المتفائل:» كثيرا ما ينفجر الشوق غضبا. كل أفعالهم ما هي إلّا نتيجة لأفعالي. وحتما وراء سَورة الغضب تلك، قلوبا تحبّني وتحنّ إليّ «.

المتشائم: «ليس سهلا أن تقطع أربعين كيلومترا ذهابا وإيابا كل يوم».

المتفائل: «نتحمّلها، إنّها طريق الخلاص».

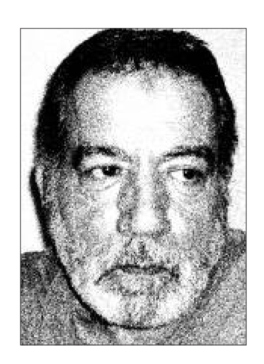
اتّصل إسماعيل بزوجته، وبعد تلكُؤ وشدّ وجذب وتعجبّ وعتاب، انتهت المكالمة عندما قالت زوجته: «سأخبرك برأيي ورأي الأبناء، غدا صباحا».

لم يغمض لإسماعيل جفن طيلة الليل. لقد كانت أطول ليلة في حياته البائسة كلّها. لم يفتأ خلالها يسأل نفسه: «هل سيرضى الأبناء؟» ثم يُمنّيها: « يا ليتهم يفعلون.»

لهذا الحدّ انفلت زمام الأمور، وها هو اليوم يرجو القدر لاستجماع شتاتها. بُعَيد الفجر، أخذته إغفاءة، ولم يستيقظ إلا على وصول رسالة من لدُن زوجته: «جِدْ لنا منزلا».

زكي شيرخان

طاغية صغير



«لم توفّق، كما أظن، في اختيار العبارة الصحيحة،» قالتها دون أن تظهر حتى النزر اليسير من الاستياء الذي اعتراها، «لم أرغب أن أضمك إلى مقتنيات عائلتي، كما قلتَ، لأنكَ لست قطعة جامدة يُزين بها جدار، أو تُركن في زاوية منزل،» أعطت لنفسها وقتا لكتم غضب بدأ باجتياحها، « إن كنتُ قد ولدتُ وفي فمي ملعقة ذهب فهذا ليس ذنبا ارتكبته، ولم يكن خيارا.»

مُركّزا ناظريه على أوراق على منضدته يقلّبها، «لقد وجدتُ نفسي في موقف محرج أمام والدكِ وهو ينهال عليّ بأسئلته، وطريقته المتعالية.»

«ولكنكَ رددتَ له الصاع بصاع، وأسمعته ما لم يجرؤ أحد أن يقوله ولو همسا. سمعت بعض ما دار بينكما.»

«يمكنني غض النظر عن الكثير من الأمور، إلّا المس بكرامتي، خاصة إن كانت مقصودة، كما حاول أبوك.»

«لقد أوضحتُ لك كل شيء، تقريبا، عن والدي.» قالتها وكأنها تعتذر عن تصرف والدها الفظ.

«مضي أربعة عقود ليست كافية لمحو تاريخ ما زال الكثير من شهوده أحياء. لن يستطيع، مهما بذل، أن يُنسي الناس من كان، والكيفية التي أصبح عليها،» سكت برهة، ثم استدرك «لست بصدد الإساءة له، ولا الحط من مكانته التي وصل إليها، لكن هذا هو الواقع.»
أدركت أنها اختارت المكان غير المناسب للخوض في قضايا شخصية

بحتة، «بعد الدوام، أود أن ألتقيك في المكان الذي اعتدنا عليه، إن لم تمانع.»

* * *

هما يعملان في نفس المؤسسة. هي، على درجة من الجمال. هادئة. تمتلك قدرا كبيرا من الرزانة. لا يدل ما ترتديه، ولا تصرّفها على أنها أبنة تاجر كبير ممن أثروا بعد حروب ثلاثة، وحصار دام سنوات طويلة رفعت قلة قليلة وسحقت أغلبية غالبة. هو، شاب يقاربها سنا. لم ير والده، فقبل أن ينقضي على ولادته عام واحد قتل والده في حرب الثماني سنوات. والدته لم تتزوج ثانية. عاشا على راتب والدته المدرّسة، والمعونة التي تكفل بها والدها. بالرغم من تفوقه الدراسي إلّا أنه كان مجبرا على الحصول على وظيفة مكتفيا بشهادة الإعدادية.

بفطنة يتصف بها، لم يخف عليه إعجابها به، لا بل أدرك أن الإعجاب تحول لحب مع مرور الأيام. كان صريحا معها، وأخبرها عن وضعه، وما عاناه من الكفاف في عيشه، دون أن تخبره عن حقيقة وضعها العائلي ظنا منها أن والدها لن يمانع في تزويجها به لأنها كانت مدللته، كما كان يدّعي. خططت معه حياتهما المستقبلية. كانت تُيسّر له كل شيء، «سأكتفي بخاتم خطبة فقط، وليس هناك من داعٍ لحفلة زواج. راتبك وراتبي يكفينا.» كانت آراؤها أقرب ما تكون للسذاجة منها للمثالية، هكذا كان يعتقد، وإن لم ينطقها بلسانه. «ليس هناك ما يبرر تأخرنا. أعتقد أنه آن الأوان أن تقابل والدي ليتعرف عليك.»، أضافت «يجب أن أخبرك عن وضع عائلتي.»

كل ما أخبرته كان مفاجئة لم يكن يتوقعها. «أفضّل أن نؤجل المقابلة قليلا. احتاج لبضعة أيام لاستيعاب الصدمة.» هذا كل ما استطاع أن يقوله.

حاول لأيام أن يجد تفسيرا: «لماذا لم تخبرني عن وضعها من البداية؟ كيف يمكن لمن مثلها الرضا بالأدنى بعد أن طعمت الأرقى كل حياتها؟ هل تعاني من خلل نفسي؟ في الروايات والأفلام يستطيع الحب اختراق الحواجز الطبقية؛ أما في الواقع المعاش فلا.»

* * *

«حسنا فعلتُ أن سألتُ عنه قبل أن التقيه. عرفت ماضيه، وكيف جمع ثروته، كِبْرُه. لولا ما عرفته ما كنت لأستطيع أن أرد عليه.» قالها بشيء من

غضب لن يستطيع كتمه مهما جهد. الغضب الذي لازمه منذ أن قابله.

«الآن؟» سألته. في عينيها تحدي من لا يمتلك إلّا المضي في طريق قاسٍ لألى يخسر كل شيء.

«ليتك سمعتِ كل ما دار بيننا، حتى تتفهمي ما سأقوله». ارتشف جرعة ماء: «لم اغضب عندما لم يصدق أني لم أعرف عن وضعه المالي إلا قبل أيام من لقائه. لم أجب سؤاله: هل تستطيع أن توفر لها مستوى الرفاهية التي تعيشها؟ واكتفيت: ظننت أنك ستسألني: هل تستطيع أن توفر لها مستوى سعادة لم تعشها؟»

«الكي هو آخر الدواء، كما يقال» قالتها بنبرة شابها حزن مكتوم. رغم أنه أدرك ما ترمي إليه، إلّا أنه بصَّ في وجهها يقرأ ما اعترى ملامحه ليتأكد من إدراكه.

«هل سيتركنا نهنأ بزواج يتم رغما عن انفه؟ أواهمة أنت، أم توهمين نفسك؟». عليه أن يثنيها عما يدور برأسها ويبدو أنه استحوذ في لحظة يأس وفي محاولة للدفاع عن حبها له.

«كل ما سأقوله لا أقصد منه تشويه صورته أمامك، ولا أقصد تحريضك عليه. لا أعرف ما هي صورة والدك في ذهنك أو بقية أفراد عائلتك. لكن ما عرفته عنه أظن أنكم لم تسمعوه ممن ينافقونكم لسبب أو آخر.» قرر أن يحاول جاهدا سد أي فسحة يريد غضبه أن ينفذ من خلالها باستخدام عبارات تهين الرجل.

«والدك لا يملك من المقومات إلا الثروة. وصاحبها يظن أن الجميع يطمعون بها حتى أقرب الناس له، لذا يبحث عن حماة مأجورين. في ظل النظام السابق لجأ لتوابع السلطة، أطعمهم جزءا محسوبا بدقة من أرباحه. في هذا العهد لجأ لقوة سياسية فاعلة هي جزء من منظومة الحكم، تملك بندقية لا تتردد بإيجارها مقابل منافع مادية.»

سكت برهة تاركا لها المجال لاستيعاب، ربما، ما لم تعرفه: «لن يتوانى حتى عن قتلي. هنا، يجب أن تستوعبي ما سأقوله جيدا. طاغية كبير سلب مني والدي، وسلب من أمي زوجها. ولن أمنح الفرصة لطاغية صغير أن يسلبني من أبني وزوجتي. لا أملك من القوة ما يؤهلني من الدفاع عن نفسي، ولا أملك

من الثروة ما أستطيع أن استأجر به عصابة لحمايتي.»

«هل يعني هذا أنك ستتخلى عني؟»

«أليس هذا أفضل من أكون سببا في ترملك؟ لن تكون هذه آخر قصة حب بنهاية غير سعيدة.»

«لن أغفر له.» قالتها وهي بالكاد تحبس دمعها.

«صدقيني، لن تكوني الوحيدة التي لن تغفر له. ربما لن تكوني الأكثر ضررا منه. ربك، وحده، يعلم كم ظلم.»

افترقا. فضّل أن يسير على قدميه، أو بالأحرى كان ملزما كي يعطي عقله فسحة زمنية كي يستعيد ما جرى منذ البداية، ولعله يصل لإجابة مقنعة لسؤاله: «لم أخفت عنه أنها من عائلة ثرية؟»

هدى الدهان

شــرخ

كلنا في هذا الوقت نبني أسوارا حولنا. كل مما تَوفر له من طاقة واحتمال وتجارب مؤلمة وخيبات أمل في الآخرين. نبنيها من خشب فَتُبلى بفعل الزمن، أو من طابوق فتتعرض ربما للخلل بسقوط إحداها، فَتُحدث ثقبا يستغله الآخرون، أو من زجاج فَيَسُهل كسرها وتَسهَل رؤية أرواحنا عرايا من خلالها، أو من قضبان فَيَسُهل التسلل منها وإليها بلا أثر، أو من حديد، وبفعل الثقة والحب في المكان الخطأ، يتعرض هذا السور للصدأ. فقط من يبني من كل واحد منها سورا يضمن السلامة، ولا ضمان للسلامة إلا بالموت.

وهل هذه حياة حين نضع بيننا وبين الآخرين كل هذه الحواجز والمسافات؟ وهل هي حياة حين نتألم كل يوم أو نصاب بخيبة أمل أو اتهام أو نقد جارح وجهل وتجاهل؟ عملية مستنزفة للروح.

ماذا لو حدث شرخ في هذا السور؟ ماذا لو كان الآخر يتصيد لك الزلة؟ هل نُغلِق السور بيننا بحصاة؟ نُرَقِعُه بعذر؟ نَتركه كما هو؟ ماذا لو دخَلت عقرب أو عنكبوت سامة إلى الشرخ بفعل كلمة أو خيانة أو سرقة للوقت والروح؟ ماذا لو تلصص علينا من خلالها الآخرون فأخذوا صورة لفضفضتنا الموثقة بالأبجدية على الشاشات الذكية؟

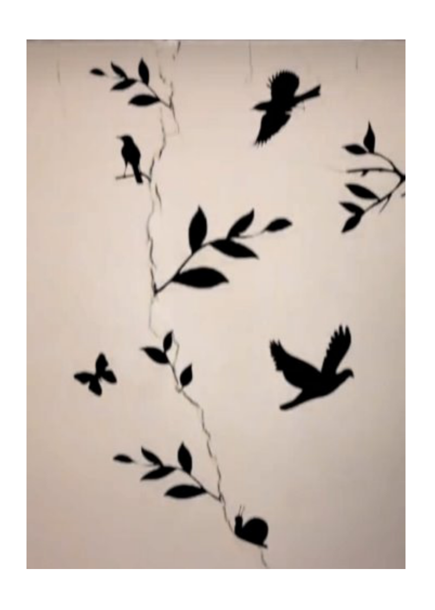
هل نهدم السور كله ونبني أقوى منه من جديد؟ هل نجرؤ؟ عملية ترقيع الشرخ في السور بيننا وبين الآخرين ظاهرة ومعيبة.

أرى أسوارنا مشروخة من الداخل. نحاول لملمتها وتلوينها كالذي يتخذ من الشرخ سببا ليُعِدّه غصنا فيرسم حوله الأوراق والثمار. هكذا نحن، نجد سببا لكل تصرف لا نحبه، وعذرا لكل زلة تؤذينا. يتعبنا الهدم ويستنزفنا البناء.

لهذا أحلى العلاقات هي علاقات ساعات السفر القصيرة، ولقاءات في الأماكن الثقافية لأُناس يتشاركون نفس الاهتمام. أشخاص لن تراهم إلا مرة واحدة في حياتك، أشخاص لست مُضطَرا لبناء سور وأنت تتكلم معهم، ولست

مُضطَرا أن تراقب سورك من مُتَلصِص أو متسلل، ولا خائفا من مِعول يفوضك باسم الحب أو العرف أو العادات. حينها ستستمع بأحلى ساعاتك وتكتشف في نفسك شخصا آخر له روح حلوة وأنه متحدث لبق ومحاور نبيه.

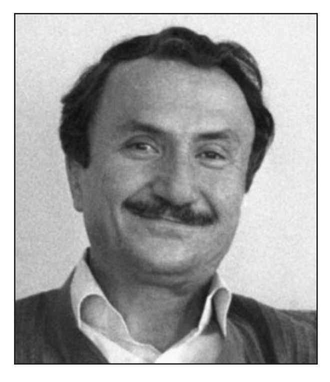
يحدث هذا فقط لأنك متأكد أنك لن تحفر أساسا لبداية علاقة أو قبرا لأخرى انتهت. وان كنت ذكيا جدا لا تأخذ مَن الذين تلتقي بهم لأول مرة وتجد روحك تنسجم معهم كطفل صغير رأى أرجوحة حلوة، أي عنوان للتواصل وأنت تغادرهم. حينها تأكد أنك لست مُضطَرا لبِناء سور آخر في حياتك، تُتعِبُكَ إدامتُه أكثر مما تُمتِعُكَ العلاقة نفسها مهما كان الآخر قريبا منك.



د. عبد الحميد صيام: ملف

بسام الشكعة: المناضل الإنسان

رحيل المناضل بسام الشكعة



انتقل إلى رحمته تعالى يوم الأحد، 21 تموز (يوليو) 2019، المناضل الفلسطيني، بسام الشكعة، رئيس بلدية نابلس السابق، الذي تعرض في عام 1980، أثناء توليه رئاسة البلدية، إلى محاولة اغتيال إسرائيلية بوضع متفجرات في سياراته. وأسفرت المحاولة عن بتر ساقيه.

وكان الشكعة أحد ثلاثة رؤساء بلديات تعرضوا في يوم واحد لمحاولة الاغتيال بوضع متفجرات في سياراتهم، ففي اليوم نفسه، تعرض لمحاولة اغتيال مماثلة كل من كريم خلف وإبراهيم الطويل. خلف كان رئيس بلدية رام الله، وأسفر الانفجار في سيارته عن بتر ساقه. والطويل كان رئيس بلدية البيرة، ونجا نظرا لاكتشاف المتفجرات قبل تشغيل السيارة.

تم استهداف رؤساء البلديات الثلاثة نتيجة مواقفهم الوطنية الرافضة للاحتلال والاستيطان، فقد فازوا في انتخابات بلدية في الضفة الغربية جرت عام 1976، وكانوا من قادة تيار وطني مقاوم معروف بقربه من منظمة التحرير الفلسطينية.

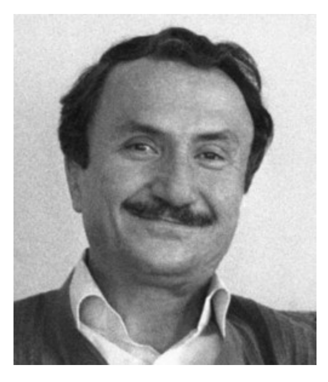
شخصية بسام الشكعة الودودة، وأسلوبه في إدارة شؤون بلدية المدينة، ومواقفه الوطنية، جعلته يحظى بحب وتقدير أهالي مدينة نابلس، المعروفة فلسطينيا بجبل النار. واتضح مدى ذلك يوم تعرضه لمحاول الاغتيال، ويوم تشيع جنازته.

الإعلامي الفلسطيني المعروف، د. عبد الحميد صيام، زار المناضل في بيته عام 2017. ومن منطلق التقدير لهذا المناضل المخضرم، والقامة الوطنية الكبيرة، التي ينبغي لها أن تكون القدوة للمخلصين في النضال من أجل فلسطين، أعد لعود الند ملفا يسلط الضوء فيه على بسام الشكعة الإنسان، بما في ذلك طبيعة علاقته مع أفراد عائلته.

يتكون الملف من ثلاث مواد: واحدة تتضمن تعريفا موجزا بالمناضل الراحل، والثانية مقالة تتضمن شهادات من أفراد عائلته، والثالثة مجموعة من الصور.

ملف العدد
بسام الشكعة
المناضل الإنسان

بسام الشكعة في سطور



ولد بسام أحمد الشكعة في مدينة نابلس، فلسطين، عام 1930 ودرس في مدارسها. التحق بصفوف جيش الإنقاذ الفلسطيني عام 1948 مع والده المناضل ضد الوجود الصهيوني في فلسطين.

بعد اندماج الجزء الذي بقي من فلسطين في الأيدي العربية مع إمارة شرق الأردن عام 1950، صارت هذه المنطقة تعرف بالضفة الغربية من الأردن، ومن مدنها القدس الشرقية ورام الله والبيرة وبيت لحم والخليل ونابلس وجنين وطولكرم وقلقيلية.

كانت السنوات التي تلت نكبة فلسطين وتأسيس إسرائيل عام 1948 مرحلة حافلة بالمشاعر الوطنية والقومية المنادية بالوحدة العربية، المناهضة للاستعمار، وشهدت أيضا تنافسا بين دول الكتلة الاشتراكية بقيادة الاتحاد السوفييتي، والدول الغربية الرأسمالية بقيادة الولايات المتحدة.

فر الشكعة من الأردن بعد التضييق على الحركة الوطنية بعد أحداث عام 1956 التي تم بعدها حظر الأحزاب، وحكم غيابيا بالسجن 15 سنة. دخل سوريا لاجئا سياسيا وكان من أنصار الوحدة بين مصر وسوريا.

عندما انهارت الوحدة عام 1961 شارك في المظاهرات ضد الانفصال، فاعتقل ووضع في سجن المزة، ثم أبعد إلى مصر وبقي فيها حتى عام 1965 حيث عاد إلى الأردن بعد العفو العام الذي أصدره الملك حسين، ثم استقر في نابلس عشية حرب حزيران/يونيو 1967 التي أسفرت عن احتلال الضفة الغربية والجولان وسيناء.

بدأ الشكعة ينشط في تعبئة الجماهير ضد الاحتلال، وهو ما عزز من شعبيته لدى الجماهير الفلسطينية. سمحت إسرائيل عام 1976 لأول مرة أن

تجري انتخابات حرة في المدن الفلسطينية الكبرى، وإذا بالتيارات الوطنية القريبة من فصائل منظمة التحرير الفلسطينية تكتسح الانتخابات.

نابلس، كبرى المدن الفلسطينية آنذاك، انتخبت المناضل المعروف، بسام الشكعة، ورام الله انتخبت كريم خلف، والبيرة انتخبت إبراهيم الطويل، والخليل: فهد القواسمي، وحلحول: محمد ملحم، وعنبتا: وحيد الحمد الله.

شكلت انتخابات عام 1976 صفعة قوية للمحتل ومرحلة نهوض قادمة تزامنت مع تحركات فلسطينيي الداخل فيما عرف بيوم الأرض الذي عُمّد بستة شهداء يوم 30 آذار/مارس 1976. سقط مع تلك الانتخابات مشروع «روابط القرى» التي طرحته إسرائيل لإدارة المناطق المحتلة عن طريق القيادات العشائرية التقليدية ودفن المشروع من يومها في التراب.

بدأ بسام الشكعة ورفاقه نضالهم ضد الاستيطان من جهة وبناء المؤسسات الوطنية في المدن والبلدات الفلسطينية من جهة أخرى. وحاول الاحتلال أن يثنيه عما يعمل، فهدده مرارا وتكرارا لكن لم تثن تلك التهديدات بسام ورفاقه عن متابعة النضال ضد الاستيطان.

اعتقلته سلطات الاحتلال ووضعته في السجن عام 1979، فقامت نابلس والضفة الغربية كلها تعلن تضامنها مع القيادات الوطنية، فاضطرت قوات الاحتلال أن تفرج عنه ورفاقه بينما أبعدت عددا منهم من بينهم فهد القواسمي ومحمد ملحم والشيخ أسعد بيوض التميمي.

بترتيب من أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، قام عملاء الاحتلال بتفجير سيارات الشكعة وخلف والطويل يوم 2 حزيران/يونيو 1980. فقد الشكعة ساقيه الاثنتين في الانفجار وبترت ساق كريم خلف ونجا الطويل عند اكتشاف العبوة الناسفة قبل أن يدخل السيارة. وقال بسام عندها «لقد أصبحت الآن أقرب إلى الأرض».

تحول الشكعة إلى رمز من رموز النضال الوطني الفلسطيني، وعند عودته من العلاج في الأردن وبريطانيا حمله مئات الألوف من الجماهير الفلسطينية على الأكتاف رغم أن إسرائيل فرضت منع التجول في ذلك اليوم.

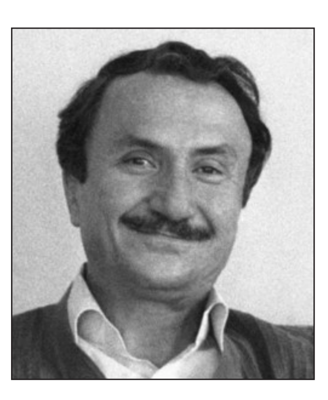
انتقل إلى رحمته تعالي في 21/7/2019 عن عمر يناهز تسعين عاما.

د. عبد الحميد صيام

بسام الشكعة الإنسان: شهادات حية



لا أعرف من أين أبدأ رثاء بسام الشكعة، أبي نضال، المناضل الكبير الذي على مثله يجوز البكاء وعلى غيابه تظلم الدنيا قليلا والناس في نابلس والوطن يتبادلون العزاء وكأن كل واحد منهم فقد أبا أو صديقا أو أخا أو قائدا أو مديرا أو رفيقا. ودعته الجماهير بالدموع وكأن شعارهم «فليس لعين لم يفضْ ماؤها عذر». ودعه الوطن بأكاليل الغار إلى مثواه الأخير مستذكرا مواقفه الوطنية الصلبة وشموخه العالي أمام القتلة والمجرمين مجسدين ما كان يمثله بسام «الشموخ المتجذر في الأرض أقوى من قطع الأقدام» كما كتبوا على قائمة اللحد.



سارت نابلس بكل أطيافها وراء الجنازة فكانت أشبه بالاستفتاء الشعبي العفوي على ما للرجل من محبة عند شعبه الفلسطيني، الذي رغم محاولات التشويه وانتشار ثقافة الرضوخ والتعامل مع الواقع كمداخل لتبرير التنازلات، يجل القيادات التي لم تساوم ولم تهادن ولم تتذبب بوصلتها نحو خدعة عملية السلام التي فرطت بوحدة الأرض ووحدة الشعب ووحدة القضية. كان ملهما لجيل من المناضلين. تواضع وتضحية وبساطة وصلابة ورؤية وقيادة. تجمعت لديه صفات القائد الفذ الذي قلما يجود بمثله الزمان. يمر مثل هؤلاء القيادات كلمعة برق، يضيئون الطريق ويرسمون خيطا من ضوء أمام الناس ويحترقون قربانا للهدف الأسمى.

بسام الشكعة: المناضل الإنسان

تأثرت به كثيرا عندما التقيته في بيته بحضور السيدة أم نضال في الخامس عشر شهر من آب/أغسطس 2017 وبقيت عنده عدة ساعات لجني المزيد من الحكمة والذكريات والتحليل الصائب واقتراحات الحلول للمأزق الوجودي الذي تمر به القضية الفلسطينية، ونشرتها على صفحات «القدس العربي» في السادس والعشرين من الشهر عينه [1].

يوم 21 تموز/يوليو 2019 هوى النجم بعد أن عانى من جلطة دماغية أنهكت ما تبقى من جسد تعرض لعملية اغتيال خسيسة من عدو لئيم. كان يوما مشهودا والجماهير تحمله إلى مثواه الأخير وكأن عقرب الزمان توقف قليلا ليعطي فرصة لأهل فلسطين ليودعوا ابنهم البار بسام الشكعة.

نشرت رثاء قصيرا على صفحتي في الفيسبوك تلقى مئات التعليقات. لكني شعرت أنني لم أوف الرجل حقه. فقررت أن أكتب شيئا يليق به ويرتقي إلى مستواه. ورأيت أن ابتعد عن بسام السياسي وأقترب من بسام الإنسان. بسام في البيت مع زوجته وأولاده وبناته وأحفاده وأقاربه والمواطنين العاديين، فقضيت ردحا من الوقت أتحدث مع عائلته ومعارفه فكانت هذه الشذرات.

بسام الزوج ـ عناية الفاصد (أم نضال)

ماذا أقول عن رفيقي وصديقي وزوجي ووالد أطفالي الذي قضيت معه وإلى جنبه أكثر من 66 سنة. تعرفت عليه في العمل الحزبي حيث انتمينا فرادى وبالصدفة لحزب البعث العربي الاشتراكي الذي كان منتشرا بشكل واسع في أواخر الأربعينات في فلسطين والأردن وسوريا. ووجدت فيه الإنسان الراقي الواعي المبدئي النشط والوسيم أيضا.

تزوجته وهو مبعد في سوريا أيام ملاحقة الحزبيين. كنت أتندر عليه وأقول له أنا تزوجتك. تواعدنا على الزواج ونحن ننشط في الحزب. اختفينا بعيدا عن عيون المخابرات، وكان زواجنا عن بعد: هو في سوريا وأنا في نابلس. ودخل السجن في سوريا عند الانفصال عن الوحدة مع مصر عام 1961. وبعدها أبعد إلى مصر، وبقينا هناك إلى أن صدر العفو الملكي الأردني عن المعارضين السياسيين فعدنا إلى نابلس [2]. وما هي إلا فترة قصيرة حتى سقطت الضفة الغربية تحت الاحتلال الإسرائيلي.

علاقته بي تقوم على الثقة والمحبة والاحترام. كنا رفيقين وصديقين وحبيبين. ثقته فيّ مطلقة. ذهبت لزيارة إخوتي في أوروبا، وكانت رسائله تأتيني تحمل أدق تفاصيل الحياة اليومية للعائلة. ماذا أكلوا وشربوا، كم بيضة جمع من الدجاجات. ماذا أكل هيثم وكيف جاءت صاحبة هنا لتنام معها. ويختم الرسالة قائلا: «استمتعي بوقتك. نحن هنا نتدبر أمورنا بسهولة».



بسام الشكعة مع عائلته في نزهة

لم يعترض عليّ في كل ما قمت به، فقد جمعتنا ميادين النضال. سافرت عدة مرات لأوروبا وحدي، وسافرت أنا وابني نضال وبنتي هنا إلى روسيا وإلى لبنان. ثقة مطلقة قويت وتجذرت عبر السنين. أكلته المفضلة المنسف، ويعفيني من عمل السلطات والمشاوي والمقبلات.

حملت ابنتي غدير (رحمها الله) إلى لندن لإجراء عملية معقدة وكان في السعودية يجمع تبرعات لبلدية نابلس، فلم أخبره حتى لا يقلق ويقطع زيارته. ولم يعرف إلا عن طريق أصدقاء له في لندن عندما اتصلوا يهنئونه بسلامة غدير، فعرف أنها في لندن. كان يقول لي: لستِ بحاجة إلى مشورتي فيما ترينه صائبا.

بمناسبة وبدون مناسبة كان يقول لي «أحبك» ويوصيني بالثبات والصبر بعد وفاته، وأقول له عادة أنا سأقضي قبلك، فيرفض ذلك، ونتناقش حول من سيلقى منيته أولا، ثم نتفق على أن أفضل الحلول أن نقضي معا بعد كل هذه

المسيرة بما حملته من أمل وألم وحب ودموع وعزة نفس ومحبة الناس التي رافقته إلى مثواه الأخير.

بسام الوالد – هيثم الشكعة

كيف لي أن أوفي والدي حقه وأجمل ما تعلمته منه وشاهدته شخصيا طوال هذه المسيرة الطويلة. كان قريبا منا فهو صديق وأخ كبير ومعلم في آن. لم يتدخل في خياراتنا السياسية أبدا. بل كان يشجعنا أن نخط طريقنا كما نشاء. كان يقول لنا اعملوا ما تعتقدون أنه صواب وتحملوا مسؤولية ما تعملون. وعندما اعتقلت أنا وأختي هنا، لم يتدخل رغم معارفه الواسعة، ولم يقم بمراجعة سلطات الاحتلال للسؤال والتوسط. وكم كان الحاكم العسكري يتمنى أن يتصل والدي به مطالبا بالإفراج عني وعن أختي ليسجل موقفا يُـبتز فيه لاحقا، لكنه لم يمنحه هذه الفرصة.

كنت ألاحظ أنه عندما ينزل السوق لشراء حاجات البيت يشتري نفس الخضار والفواكه من أكثر من محل. سألته مستوضحا فقال: يا ولدي، هذا أفضل: أن يتوزع الرزق والخير على أكثر من بائع بدل أن يستأثر بالفائدة شخص واحد. كنت أشاهده يتحدث مع البائعين ويمازحهم وكأنه يعرف كل تجار نابلس.

قبل انتخابه رئيسا للبلدية كان يقف مع الناس ويحدثهم ويتفرج على الألعاب الرياضية سواء كان أولاده مشاركين أم لا. وكان يصطحبنا أنا وأخي نضال وأصدقاءنا إلى مزرعته في أريحا، فأبي يحب الطبيعة والتنزه في فلسطين وجبالها ووديانها ويقول: لا حاجة لنا بإجازة في أوروبا، ففلسطين أجمل.

تعودنا منه أيام الجمع أن يدعو أفراد العائلة والأقارب ويقوم بشوي اللحوم بيديه ويعتبرها فرصة للاجتماع بالأهل والمحبين. لم يطلب مساعدة من مزارع أو عامل لمساعدته في ترتيب الحديقة أو زراعة الأشجار والورود والشجيرات. بل كان يقوم بكل ذلك بنفسه. وبقي يتابع هذه الهواية إلى أن أصيب بالجلطة الدماغية قبل تسع سنوات.

ونحن صغار كان أولاد الحارة يستوقفونه ويطلبون منه دواليب سيارات قديمة لتحويلها إلى عجلات للعب، وكان فعلا يحضر لهم تلك الدواليب. لم يصرخ فيّ أبدا، ولم يصدف مرة أن رفع صوته عليّ. كنا نتناقش في كل الأمور، وأعرض عليه رأيي، فإن وجده صائبا ومقنعا لا يجد حرجا أن يأخذ برأيي.

في أيام الإضراب كان ينزل إلى الأسواق ويحض الناس على مواجهة الجنود الذين كانوا يعاقبون المضربين بكسر أقفال محلاتهم. وكان يتصدى للجنود مع الناس ويقف في مواجهة الجنود هو وأعضاء المجلس البلدي الذين يرافقونه، فكيف يمكن أن يتخلفوا ورئيسهم في المقدمة.



بسام الشكعة يعتني بالحديقة

لم يقل أبدا لأحد اذهب وقاوم، بل كان يقول تعالوا معي لنقاوم ونتصدى ونصمد ونعزز وجودنا. في كل مناسبة تجده مع الناس. لم يتقاعس في حضور جنازة أو تشييع شهيد أو زيارة بيت العزاء. حتى بعد تركيب الأرجل الصناعية، لم يتأخر أبدا عن تعزية أهالي الشهداء، وكم كان لتلك الزيارات من أثر طيب على المفجوعين بأولادهم.

والدي كان يؤمن بأن المنتخب للبلدية أو للمجلس الوطني إنما هو خادم للشعب الذي انتخبه. فكان يستقبل المواطنين في البلدية والبيت بابتسامته الشهيرة. وكأن هناك شعورا داخليا بتجسيد اسمه على مسلكيته.

كان يتعامل مع أولاد العمومة والأقارب كأنهم أصدقاؤه. فتح بيته في القاهرة لطلاب العائلة الذين كانوا يدرسون في مصر آنذاك. كان يستضيفهم في بيته لمدد طويلة يأكلون ويشربون إلى أن تستقر أحوالهم في القاهرة. وبقي

هذا المسلك طوال حياته، فكان يكثر من الدعوات للأهل والأقارب. وظل بيته عامرا بالزوار إلى أن ودع البلاد وداعه الأخير.

بسام الوالد والصديق – هنا الشكعة

(أعتذر عن دموعك يا هنا. لم أكن أريد أن أثير مواجعك وأنت تحدثيني عن والدك وحبيبك وصديقك ومثلك الأعلى بابا بسام). كيف لي أن أنظم هذا السيل من الذكريات والعشرة الطويلة مع أرق وأحن أب من ابنته المدللة الأثيرة التي كسبت ثقته واحترامه عدا عن كونها ابنته.

لم يصرخ فيّ أو يسمعني كلمة تنم عن غضب رغم شقاوتي وأنا صغيرة. يقف معي مشجعا لميلي للفن والرياضة، بينما والدتي كانت تريدني أن أهتم بالعلوم والمواد الأخرى. كان يدلل صديقتي رنا المصري مثلي وأكثر. يوصلنا المدرسة ويأتي بعد الظهر لاصطحابنا. وكثيرا من المرات، بدل العودة إلى البيت نتوجه للمزرعة في الأغوار لجمع الخضار والفواكه والتنزه والاستجمام بين أشجار البرتقال والعنب والتين، وأحيانا يصطحبنا للمصبنة (مصنع الصابون).

كان يربي النحل في المزرعة ويشرح لي بإسهاب كيف يتم الاعتناء بالنحل وجمع العسل دون إبر النحل مخالفا بذلك قاعدة المتنبي الذي كان شاعره المفضل «ولا بد دون الشهد من إبـــر النحل». وعندما تنام صديقتي رنا في بيتنا، نصحو على أحسن طبق فول يصنعه بيديه ويقول لوالدتي: «أنا أعفيك في نهاية الأسبوع من تحضير الفطور». وبعد ذلك نتجول في حديقة البيت، وكان يجد متعة في الحديث عن كل أنواع الزهور التي زرعها بنفسه. آه كم كان قريبا مني ومن وجداني ومن قلبي. كنت أحس دوما أنه كرس حياته خارج البيت للوطن وداخل البيت لنا.

والدي لم يكن تقليديا أبدا، ولم يكن ضعيفا. كان يحب المطبخ ويحضر وجبات الفطور والمقبلات بنفسه مثل الحمص والفول والمتبلات والسلطات. كان يشتري القمح الأسمر البلدي ويخبز المناقيش بيديه ويحضرها صباح الجمعة للعائلة قبل أن يصحو أحد من النوم لنجدها جاهزة على مائدة الصباح.

في مزرعتنا كان يشرف على تربية الدجاج والأغنام والنحل كما قلت، وحتى الأرانب والحمام، وكان يوزع المنتجات على الأقارب والأصدقاء. رأيته يحلب الماعز بيديه ويحضر كأسي الحليب له ولماما. قلت له «يابا خليني أحلبها عنك. قال تريدين أن تنتزعي مني متعتي. أما إذا بدك ممكن أعلمك».

لم يوظف عاملا للمساعدة في المزرعة لأنه يريد المتعة لنفسه كما كان يقول. علاقة محبة بينه وبين عصفور الكناري، وقد جمع في أقفاص واسعة خلف البيت أكثر من 200 يشرف على طعامها وشرابها ويستمتع بتغريدها الصباحي كأنه موسيقى هابطة من السماء. كل هذا قبل انتخابات 1976 ورئاسة البلدية والتي أخذت كل وقته. كان يشعر بأنه مسؤول عن كل خطأ أو ظلم يلحق بأي إنسان في المدينة الكبيرة.

كان حازما شديدا حادا كالسيف عندما يتعلق الأمر بالوطن: لا يهادن ولا يخشى قول كلمة الحق، لكنه كان رقيقا كوردة ونقيا كنبع الماء وسهلا كالحرير عندما يتعلق الأمر بعائلته وأبنائه وأصدقائه.

دائما يشجعني أن آخذ قراري بنفسي. كان يعرف خبايا نفسي: ما أحب وما لا أحب. وعندما رجعت من دراستي في أمريكا وتقدم جارنا باسل لطلب يدي، ترددت لأنني لا أعرفه جيدا. وعندما قال لي أبي: «لو فوضتني أن أختار لك عريسا مثاليا لما اخترت إلا باسل»، فأخذت كلامه قطعيا لأنه يعرفني جيدا ويعرف مكنونات أفكاري، ولا يمكن إلا أن يكون حكمه صائبا.

ابني ليث تعلق بجده الذي كان رغم وضعه الصحي لا يتأخر عن إعطائه الوقت اللازم من المداعبة والحكايات والدلال.

موقفه من المرأة موقف تقدمي ناضج. يرى المرأة نصف المجتمع وشريكة الرجال في صنع الانتصار، فالمرأة زوجة شهيد وأم أسير وأخت مصاب، فكيف لا تتساوى مع الرجال في مرحلة التحرر الوطني. كان داعما لجمعية الاتحاد النسائي وجمعية إنعاش الأسرة. وكان لا يفتأ يشرك المرأة في كل عمل جماعي أو نقابي أو لجان أو توزيع مسؤولية.

كان يرى أن المرأة مؤهلة للقيادة وحمل السلاح والنضال وخوض المعارك والمساهمة في تحرير الوطن. وهذه الأفكار التي بعثها برسالة لأمي من مصر ظل يؤمن بها وعمل على ترجمتها على أرض الواقع عندما جلس في مقعد القيادة من خلال لجنة التوجيه الوطني التي كانت تعتبر قيادة الظل لمنظمة التحرير الفلسطينية في الأرض المحتلة وعندما انتخب رئيسا لبلدية نابلس.

طلاب مدرسة بسام الشكعة في بلاطة

بسام صديق الطلاب والمعلمين. كان قريبا من الطلبة يشجعهم ويساعدهم. وما قصده طالب في معونة يوما إلا لبّاها قدر ما يستطيع. لقد اغتنم علاقاته

الطيبة والمبنية على الاحترام مع سوريا والاتحاد السوفييتي سابقا، وأرسل مئات الطلبة في بعثات دراسية ولم تصدف أن البلدين ردّا له طلبا.



عبد الحميد صيام وبسام الشكعة، 2017

عام 1979 قدم له طلاب مدرسة مخيم بلاطة الإعداديَّة شرق مدينة نابلس عريضة تطلب المساهمة في إعادة ترميم وإعمار مدرسة المخيم. ويبدو أن مشاغله غطت على الطلب على طريقة الأولويات. وعندما كان يرقد على سرير الشفاء في مستشفى بعمّان، قام أبو نضال بعمل نادر امتزجت فيه الوطنيَّة الصَّادقة بالتَّضحية والإنسانية والخُلُق الرَّفيع. طلب أبو نضال صندوقاً كُتِب عليه «مدرسة بلاطة» وقال لِمن حولَه: لا أريدُ أن يزورني النَّاس وهم يحملون إليَّ الورود وعلب الشوكولاتة، بل أريدُ أن يستبدلوا ذلك بالتَّبرُّعات لبناء مدرسة لأطفالِ منطقة نابلس الشرقيَّة.

وقد ظهر صندوق مدرسة بلاطة على شاشة التلفزيون الأردني في صيف عام 1980 بجانب سرير أبي نضال، الذي نقل إلى الأردن لتلقي العلاج بعد

محاولة الاغتيال. وتم بالفِعل جمعُ التَّبرعات، وبُنِيت بها في السَّنة التَّالية مدرسةٌ نموذجيَّة قبالة مدرسة قدري طوقان.

كان من الطَّبيعي أن تُسمى المدرسةُ باسم بسام الشكعة، فتمَّ عملُ يافطةٍ باسم «مدرسة بسام الشكعة»، ولكنْ في اليوم الذي تقرَّر فيه افتتاح المدرسة، قام جنود الاحتلال بخلع اليافطة، وقام الحاكم العسكريّ للاحتلال باستدعاء المحتفِلين بافتتاح المدرسة، ومنهم والدي رحمه الله، وطلبَ منهم عدمَ تسمية المدرسة باسم بسام الشكعة، وهدَّدَ أنْ لا يتمَّ افتتاحُها إنْ سُمِّيت كذلك.

على إثْرِ ذلك، سُمِّيت المدرسةُ باسمِ «مدرسة ذكور بلاطة الإعدادية» ثُمَّ «مدرسة طارق بن زياد»، وبعد مجيء السّلطة الفلسطينيَّة إلى الضفة الغربية بعد التوقيع على اتفاقية أوسلو عام 1993، أصبحت المدرسةُ رسميّاً «مدرسة بسام الشكعة».

===

أشكر السيد هيثم الشكعة والسيدة هنا الشكعة والصحفية لارا كنعان على تعاونهم معي وتقديم المعلومات والشهادات والذكريات والصور.

[1] الموضوع منشور في صحيفة القدس العربي، 2017/8/26.

https://www.alquds.co.uk

[2] كانت نابلس ضمن المناطق الفلسطينية التي بقيت في الأيدي العربية في حرب عام 1948، واندمجت مع الأردن عام 1950 وصارت تسمى الضفة الغربية، لوقوعها على الجانب الغربي من نهر الأردن. أما الضفة الشرقية فكان فيها العاصمة عمّان.



صور من مراحل مختلفة

أدناه مجموعة من الصور للمناضل الفلسطيني الراحل، بسام الشكعة، رئيس بلدية نابلس، فلسطين، الذي تعرض في عام 1980 لمحاولة اغتيال إسرائيلية بوضع متفجرات في سيارته، أدت إلى بتر ساقيه. واستهدف الجناة أيضا رئيس بلدية رام الله، كريم خلف، الذي أصيب وبترت ساقه. ونجا من محاولة مشابهة رئيس بلدية البيرة، إبراهيم الطويل.

انتقل المناضل الشكعة إلى رحمته تعالى في 21/7/2019، عن عمر يناهز تسعين عاما. الصور أدناه من مواد ملف «بسام الشكعة: المناضل الإنسان» وهو من إعداد الإعلامي الفلسطيني، د. عبد الحميد صيام، الذي التقى المناضل في منزله في نابلس عام 2017.



بسام الشكعة مع أفراد عائلته في نزهة



بسام الشكعة محمولا على الأكتاف بعد عودته من العلاج



بسام الشكعة مع آخرين، من بينهم كريم خلف، رئيس بلدية رام الله



بسام الشكعة محاطا بالجماهير



بسام الشكعة مع أحفاده

::



بسام الشكعة مع حفيدين



ضريح المناضل بسام الشكعة

الشموخ المتجذر في الأرض أقوى من قطع الأقدام

إلى رحمة الله

رحيل عبد الرزاق العمري



يوم الثلاثاء 23/7/2019، انتقل إلى رحمته تعالى في الولايات المتحدة عبد الرزاق العمري، عضو الهيئة الإدارية لفرع الاتحاد العام لطلبة فلسطين في الولايات المتحدة في النصف الأول من الثمانينيات.

كان المرحوم يقيم في مدينة لوس أنجلوس في تلك الفترة، وانتخب في المؤتمر الثاني للفرع (مدينة أيمز-ولاية أيوا، 1981) عضوا في الهيئة الإدارية للفرع التي تشرف على شؤون الفروع المحلية (الوحدات) في المدن الأميركية المختلفة.

تأسس فرع الاتحاد العام لطبة فلسطين في الولايات المتحدة عام 1980، ونما نموا مطردا، وكان يتكون من حوالي سبعين فرعا محليا في عموم الولايات الأميركية، وانضم إلى عضويته حوالي ثلاثة آلاف وخمسمئة طالب فلسطيني كانوا يدرسون أو يقيمون في الولايات المتحدة.

أسندت لعبد الرزاق مسؤولية العلاقات الخارجية في الهيئة الإدارية المنتخبة عام 1981، ولكنه وافق على إسنادها لعضو آخر في الهيئة، هو خلدون حسن، تعزيزا لروح العمل الجماعي في الهيئة الإدارية.

انتخب عبد الرزاق عضوا في الهيئة الإدارية مرة ثانية في المؤتمر الثالث الذي عقد في شيكاغو في الأيام الأخيرة من عام 1982، وهي الهيئة التي جمدتها الهيئة التنفيذية لعموم فروع الاتحاد في العالم بقرار سياسي تعسفي مخالف لمبادئ الديمقراطية ودستور الاتحاد، لأن الهيئة الإدارية لم تتخذ موقفا سياسيا تريده الهيئة التنفيذية تجاه الانتفاضة/الانشقاق في حركة فتح عام

1983، وحرصت هيئة الفرع الإدارية على وحدته وكونه إطارا ديمقراطيا لمختلف الآراء.

أدى قرار التجميد السياسي التعسفي إلى انقسام فرع الاتحاد إلى فرعين وعقد مؤتمرين ووجود هيئتين إداريتين، ومهد ذلك لانهيار الاتحاد في الولايات المتحدة، وكان ذلك بعد سنوات قليله من تأسيسه.

للفقيد عبد الرزاق العمري الرحمة، ولأهله ومحبيه الصبر والسلوان. إنا لله وإنا إليه راجعون.



عن لوحة الغلاف

ملك مطر



لوحة الغلاف من إبداع الفنانة التشكيلية الفلسطينية، ملك مطر. الفنانة في سطور:

= من مواليد غزة.

= بدأت الرسم وهي في الرابعة عشرة من العمر، أثناء العدوان الإسرائيلي على غزة عام 2014.

= تتميز لوحاتها بالتركيز على وجوه النساء.

= شاركت في معارض عديدة في دول عربية وأجنبية.

= نظم لها المتحف الفلسطيني في الولايات المتحدة ثلاثة معارض في ثلاث مدن في شهر آب (أغسطس) 2019.

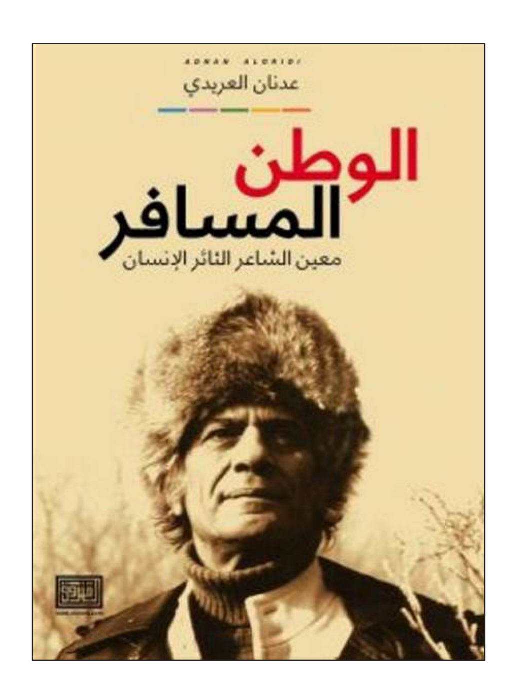
المزيد من أعمال الفنانة في صفحتها في فيسبوك:

https://www.facebook.com/profile.php?id=100004339966663

إصدارات جديدة: عدنان العريدي

الوطن المسافر

صدر للناقد الفلسطيني عدنان العريدي كتاب جديد عنوانه «الوطن المسافر: معين الشاعر الثائر الإنسان». الناشر: دار الشروق، عمان، حزيران (يونيو) 2019). تجدر الإشارة إلى أن معين بسيسو أحد شعراء المقاومة الفلسطينية، وهو من مواليد مدينة غزة عام 1930، وتوفي في لندن عام 1984.



إصدارات جديدة: محمد دلبح

ستون عاما من الخداع



صدر للصحفي والكاتب الفلسطيني، محمد سعيد دلبح، كتاب جديد عنوانه «ستون عاما من الخداع. حركة فتح: من مشروع الزعيم إلى مشروع التصفية». يتميز الكتاب بنهجه النقدي في تقييم مسيرة حركة التحرير الوطني الفلسطيني، فتح، منذ فترة التأسيس التي سبقت القيام بأول عملية عسكرية في 1965/1/1، التاريخ الذي تعتبره الحركة يوم انطلاقتها الذي يتم الاحتفال به سنويا.

وبعد الحرب العربية-الإسرائيلية في حزيران (يونيو) 1967، واحتلال إسرائيل المزيد من الأراضي العربية، ظهرت منظمات المقاومة الفلسطينية المسلحة، وقامت بعمليات منطلقة من قواعد لها في الأردن. وتمكنت حركة فتح من التحول إلى الحركة الأكبر والأكثر شعبية في أوساط الشعب الفلسطيني.

يتعرف القارئ على مضمون الكتاب النقدي مما كتب على غلافه الخلفي:

> احتلت حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» منذ عام 1968 الموقع القيادي الأول في الساحة الفلسطينية ولتضع قيادتها بصماتها على النضال الوطني الفلسطيني سلبا وإيجابا وتقود الشعب الفلسطيني في ميدان الكفاح المسلح لتنتهي بقيادته في ميدان التسوية السياسية بما اشتمل عليه من تنازلات وتفريط بحقوقه في وطنه.

وبالإضافة إلى تولي حركة فتح الموقع القيادي الأول، فقد تبع ذلك تحول ياسر عرفات، عضو اللجنة المركزية للحركة، إلى القائد الأول في عموم المقاومة الفلسطينية، وتمثل ذلك، بالإضافة إلى موقعه في فتح، في توليه رئاسة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، التي كانت بمثابة ائتلاف تشارك

فيه ثماني منظمات، وحصلت في عام 1974 في القمة العربية المنعقدة في المغرب على اعتراف بأنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني. وبناء على ذلك، لا يكتفي المؤلف بتوجيه نقد عام للحركة، بل يوجه بعضه أيضا لزعيمها ياسر عرفات. وقد أشير إلى ذلك على الغلاف الخلفي:

> قايضت قيادة «فتح» بزعامة ياسر عرفات وجودها وبقاءها والإبقاء على مصالحها الشخصية بالتخلي عن الجزء الأكبر من فلسطين لقاء وهم سعت إليه منذ تأسيسها بإقامة دولة على أي جزء من فلسطين تسمح موازين القوى بالتوصل إليه.

ويوجه الكتاب النقد أيضا إلى المنظمات الفلسطينية الأخرى لعجزها عن تغيير اتجاه سير الثورة الفلسطينية على طريق قبول «مشاريع تصفية القضية الفلسطينية»، وكانت النتيجة اتفاقية أوسلو عام 1993، التي نال منها الشعب الفلسطيني أقل مما يمكن اعتباره حكما ذاتيا في الضفة الغربية وغزة، وليس الدولة الفلسطينية التي تحدثت عنها القيادة كثيرا.

تجدر الإشارة إلى أن المؤلف مطلع على مسيرة حركة فتح جيدا، وقد كتب من موقع المتابع عن كثب. والنهج النقدي الذي اتبعه المؤلف أملته الحقائق التي يسردها في كتابه الضخم، الذي يضم بين دفتيه 520 صفحة، وهو صادر عن دار الفارابي، بيروت- لبنان، في آب (أغسطس) 2019.

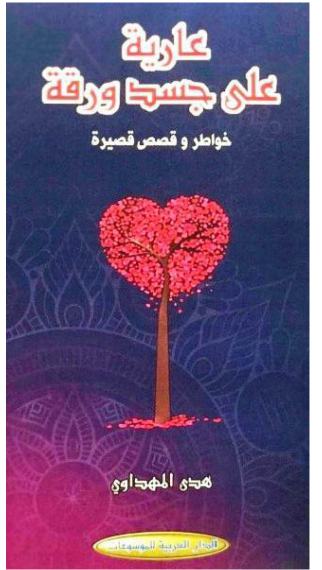
إصدارات جديدة: هـدى المهداوي

عارية على جسد ورقة



صدر للكاتبة العراقية، هدى المهداوي، أول إصدراتها وهو يضم خواطر وقصصا قصيرة، نشرتها الكاتبة من قبل، وبعضها نشر في مجلة «عود الند» الثقافية. الناشر: الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2019. فيما يلي إحدى الخواطر المنشورة في الكتاب، ونشرت قبل ذلك في عود الند، العدد 92: 2/2014.

أشلاء وردة



حين تعشق النساء، يعمدن إلى تقطيع أوصال وردة أو زهرة، متسائلات: «يحبني، لا يحبني؟» ما ذنب رقة وبراءة كهذه تُقطّع إلى أشلاء، لا لشيء إلا تساؤلاً ولهفة؟ أنا أعمد إلى إعداد الكثير من فناجين القهوة. أعشق كركرة ماءها ونحيب بخارها المضمّخ بعبيرها وهي طازجة كوردة بتول ما شم عبيرها أحد، أرتشفها فنجاناً تلو الآخر، هامسة مع كل رشفة بتساؤل عنك أو فكرة.

أقلبها لأقرأ خطوطها، علّني ألمح حرفك يحتضن حرفي أو أقرأ أسمك مزروعاً في قلب إحداهن. يا من تُحيل نظراتك رماد أيامي إلى جمرات متقّدة. وسأظل اقرأها عسى، يوما ما، أقرأ في تضاريسها ارتواء لعطشي الدائم إليك.

أرشيف المجلات العربية القديمة

فضل أهل العراق على اللغة العربية

أدناه مقتطف من مقالة منشورة في العدد الأول من مجلة «لغة العرب» العراقية. رئيس التحرير: الأب أنستاس الكرملي. تاريخ العدد 1 تموز (يوليو) 2011. للاطلاع على العدد وغيره إضافة إلى مجلات عراقية وعربية أخرى اذهب/ي إلى موقع أرشيف المجلات الأدبية والثقافية العربية. رابط الأرشيف تحت المقتطف.

فضل أهل العراق على سائر أقوام الآفاق

في جمع شتات لغة العرب

كان سكان جزيرة العرب يتكلمون لغات عديدة ولغيات شتى حتى جاء الإسلام فوحدها وميز لغة قريش مضر الحمراء عن سائر أخواتها لفصاحتها وكثرة أوضاعها ومعظم اتساعها. وما كادت تنبغ بين لدانها حتى زادت مباني ومعاني فأصبحت بحرا زاخرا بعد أن كانت نهرا دافقا. بيد أنها بقيت قرنين لا ينمو قرن غزالها الشارقة بعد أن ذر ذرورا بينا حتى خالط العرب العجم فعنى هؤلاء الأغرب غاية العناية بتدوين اللغة وأصولها وقواعد ضبط شواردها وأوابدها. ووضعوا مبادئ أخذها وتلقيها والجري على أساليب العرب بإحكام ضوابطها الجزئية وروابطها الكلية، فنشأت حينئذ علوم اللغة العربية على ضروب تنوعها في الكيفية والكمية.

على أن الفضل كل الفضل في ذلك عائد إلى أهل العراق باتفاق أهل الآفاق، لأن جميع العلماء الذين نبغوا في صدر الإسلام كانوا من العراقيين أو ممن خالطوهم أو ممن أخذوا عنهم.

وهل أنت تجهل سبب تمحيص اللغة العربية الشريفة وترقيها وتدوينها وتحقيق أصولها واتباع الصراط الأقوم من طرقها المتعددة المختلفة؟ أليس في

المصرين، الكوفة والبصرة من ديار العراق، نشأت طائفتا العلماء الذين تفتخر بهم اللغة القرشية؟ طائفتان تشبه ما يسميه اليوم أدباء عصرنا من الإفرنج بالأكاديمية، أي المجمع اللغوي. أجل. إنك ترى في هذا العهد مجمعا لغويا في كل أمة من أمم الغرب التي يمتاز أهلها عن جيرانهم بلغتهم الخاصة بهم. والغاية منه الدأب في تحسين لغة أصحابه. ولذا ترى أعضاء هذه الأكاديمية (التي لا يتعدى عددها الواحد في كل أمة) يسهرون على حفظ سلامة اللغة من كل خلل أو فساد. ويقتبسون من عوامهم بعض الألفاظ المأنوسة التي لا مقابل أو مرادف لها في لغتهم الفصيحة والتي لا مندوحة لهم عنها للتعبير عن أفكارهم. ويدخلون الألفاظ الحديثة المعنى أو الطريفة الوضع والاكتساب لقرب العهد باستنباط مدلولاتها أو باكتشاف وجودها.

[...]

وخلاصة القول عن مذهب البصريين والكوفيين: إن البصريين أصح قياسا لحفظ لغة قريش، لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع ولا يقيسون على الشاذ. والكوفيون أوسع رواية لأنهم جمعوا شتات لغات جميع قبائل العرب وحفظوها.

= = =

المصدر: أرشيف المجلات الأدبية والثقافية العربية. القسم المتعلق بمجلات العراق. مجلة «لغة العرب». العدد الأول. تموز (يوليو) 1911. ص 7-11.



ترجمة: الخطة الاقتصادية الأميركية لتجميل الاحتلال الإسرائيلي

صفاقة القرن

خلفية: منذ انتخاب رجل الأعمال الأميركي المليونير، دونالد ترمب، رئيسا للولايات المتحدة في عام 2016 وتوليه الرئاسة في 2017، أقدم على اتخاذ مجموعة من الخطوات الساعية إلى الإجهاز على قضية الشعب الفلسطيني وحقوقه في وطنه، ومنها حق عودة اللاجئين إلى الديار التي شردوا منها في فلسطين في عام 1948. من هذه الخطوات الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ونقل مقر السفارة الأميركية إلى القدس، ووقف الولايات المتحدة تقديم الدعم المالي لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى (أونرا) التي تقدم خدمات تعليمية وصحية للاجئين الفلسطينيين.

في موازاة هذه الخطوات، جرى الحديث كثيرا عن «صفقة القرن» دون أن يعلن عن محتواها، وتحوّلت إلى موضوع تكهنات وتأويلات سياسية تناسب أهداف القوى السياسية المختلفة في الدول العربية. ولكن تم في شهر حزيران (يونيو) 2019 الإعلان عما سمي خطة «السلام من أجل الازدهار» تتضمن تصورات لحلول اقتصادية تحسن أوضاع الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية من قطاع غزة، المنطقتين اللتين احتلتهما القوات الإسرائيلية في عام 1967. ولكن الخطة لا تشمل إنهاء الاحتلال، أو الاعتراف بحقوق اللاجئين الفلسطينيين الذي هُجّروا في عام 1948. وطرحت هذه الخطة التي اقتصرت على الجانب الاقتصادي في «ورشة» أقيمت لها في البحرين في شهر حزيران (يونيو) 2019.

تجدر الإشارة إلى أن الحديث عن تحسين الأحوال الاقتصادية نتيجة مبادرة سلام عربية إسرائيلية ما أمر ليس جديدا، فقد جرى الحديث كثيرا عن الفوائد التي سيأتي بها السلام بعد توقيع منظمة التحرير الفلسطينية مع إسرائيل اتفاقية أوسلو عام 1993، وتوقيع الأردن معاهدة سلام في عام 1994. وعقدت مؤتمرات اقتصادية على أعلى المستويات في المغرب والأردن ومصر، وجرى الحديث عن مشاريع كبرى وإقامة مؤسسات مالية. ولكن سرعان ما توقف عقد المؤتمرات، ولم يتحقق شيء من الوعود.

انطلاقا من حرص عود الند على توجيه المهتمين نحو الاطلاع على الوثائق، بدل الاعتماد على التقارير الإخبارية، نقدم ترجمة للفصل الثاني من المبادرة، الذي يتحدث عن أربعة أهداف كبرى لتحسين أوضاع الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتحته رابط إلى النص الكامل للخطة (بالإنجليزية).

= = =

الفصل الثاني

تمكين الشعب الفلسطيني

أعظم مورد لكل أمة هو شعبها.

سوف تحرر المبادرة الثانية المتعلقة بخطة السلام إلى الازدهار الإمكانات الهائلة للشعب الفلسطيني من خلال تمكينه من متابعة أهدافه وطموحاته. سوف يدعم هذا الجزء من الرؤية الشعب الفلسطيني من خلال أربعة برامج أساسية.

=1= البرنامج الأول سوف يعزز جودة نظام التعليم في الضفة الغربية وقطاع غزة، ويضمن عدم تضرر أي فلسطيني نتيجة فرصة تعليمية غير ملائمة. سوف يدعم هذا البرنامج تطوير وتدريب المعلمين الفلسطينيين، وفي الوقت نفسه توسيع نطاق الوصول إلى الفرص التعليمية من قبل المجتمعات والفئات السكانية المحرومة من الفرص. وسوف تساعد

مشاريع أخرى على تشجيع الإصلاحات التعليمية والابتكار. سوف يساعد هذا البرنامج على تحويل الضفة الغربية وقطاع غزة إلى مركز للتميز التعليمي من خلال توفير الحوافز المالية لدعم تطوير معايير ومناهج أكاديمية أفضل.

=2= سوف يعزز البرنامج الثاني برامج تنمية القوى العاملة، وخفض معدلات البطالة وزيادة التنقل المهني للقوة العاملة الفلسطينية. وسوف يساعد هذا البرنامج على ضمان تهيئة الشباب الفلسطيني بالكامل لدخول سوق العمل وتحقيق أهدافهم المهنية من خلال دعم الفرص التدريبية، والإرشاد المهني، وخدمات التوظيف. وسوف تساعد مشاريع إضافية العمال على تلقي التدريب اللازم لتعزيز مهاراتهم أو تغيير مهنهم. في نهاية المطاف، سوف يضمن هذا البرنامج وصول جميع الفلسطينيين إلى الأدوات التي يحتاجونها للمنافسة في الاقتصاد العالمي والاستفادة الكاملة من الفرص المطروحة في هذا التصور.

=3= سوف يوفر البرنامج الثالث موارد وحوافز جديدة لتطوير قطاع الرعاية الصحية الفلسطيني وضمان حصول الشعب الفلسطيني على الرعاية التي يحتاجها داخل الضفة الغربية وغزة. سوف يزيد هذا البرنامج بسرعة قدرة المستشفيات الفلسطينية من خلال ضمان حصولها على الإمدادات والأدوية واللقاحات والمعدات لتقديم رعاية عالية الجودة والوقاية من الطوارئ الصحية. وسوف تساعد صناديق أخرى على تحسين الخدمات والمعايير في مرافق الرعاية الصحية الفلسطينية. وسوف يؤدي هذا البرنامج إلى تحسن كبير في النتائج الصحية في جميع أنحاء الضفة الغربية وغزة من خلال استثمارات محددة في مرافق جديدة، وفرص تعليمية للعاملين الطبيين، والعاملين في مجال الرعاية الصحية، وحملات توعية عامة لتحسين الرعاية الوقائية.

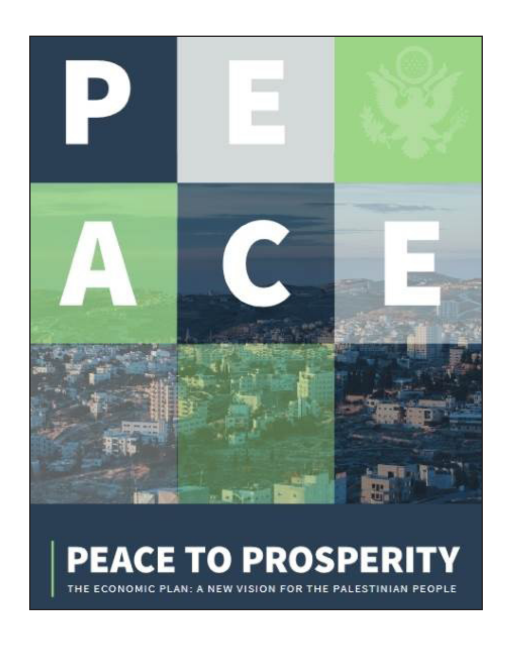
=4= سوف يدعم البرنامج الرابع المشاريع التي تعمل على تحسين جودة الحياة للشعب الفلسطيني. وسوف يساعد هذا البرنامج الجيل القادم من الفلسطينيين على استكشاف قدراته الإبداعية وصقل مواهبه من خلال استثمارات في مؤسسات ثقافية جديدة والدعم المالي للفنانين والموسيقيين الفلسطينيين. وسوف يدعم تحسين الخدمات البلدية وإنشاء مساحات عامة جديدة في مختلف أنحاء الضفة الغربية وغزة. وسوف تساعد هذه

التطورات على تحويل الضفة الغربية وقطاع غزة إلى مركز ثقافي وترفيهي يستفيد منه كل الفلسطينيين.

= = =

أدناه رابط لتحميل المبادرة المنشورة في موقع البيب الأبيض الأميركي:

https://www.whitehouse.gov/wp-content/uploads/201906//MEP-narrative-document_FINAL.pdf



عـود الـنــد

نقل 47 عددا إلى قاعدة بيانات المجلة

حرصا من مجلة عود الند الثقافية على تسهيل الاطلاع على محتويات أعدادها منذ بدء الصدور في مطلع حزيران (يونيو) 2006، بدأ قبل شهور تنفيذ مشروع لنقل محتويات الأعداد القديمة إلى قاعدة بيانات المجلة. وقبل يوم من صدور العدد الحالي، (العدد الفصلي 14: صيف 2019) تم نقل أعداد السنوات الأربع الأولى من عمر المجلة، أي 47 عددا شهريا، أو ما يعادل نسبة 80 في المئة من الأعداد التي يجب نقل محتوياتها إلى قاعدة البيانات.

في السنوات الخمس الأولى من عمر المجلة، كانت الأعداد تنشر في صفحات ثابتة من نسق اتش تي ام ال (html)، حيث تحفظ المحتويات في صفحات مستقلة. وهذه الطريقة تحتاج إلى الكثير من العمل اليدوي، ولذا أصبحت غير فعالة نظرا للنجاح المطرد الذي حققته المجلة، والزيادة المستمرة في المواد التي تنشرها. ولذا بعد إتمام العام الخامس من النشر، بدأ إصدار الأعداد يتم باستخدام برنامج إدارة محتوى معتمد على قاعدة بيانات، حيث تحفظ المحتويات في مكان واحد وتسترجع وتعرض من خلال برنامج إدارة المحتوى.

على خلاف الطريقة القديمة، لا يمكن تمييز كل عدد عن آخر بتصميم مختلف، أو حروف وألوان مختلفة، بل تأخذ كل الأعداد شكلا موحدا. مقابل ذلك، يتضمن برنامج إدارة المحتوى خيارات تبرر الاستغناء عن خيار تمييز كل عدد عن آخر، مثل خيار التعليقات، وتغيير التصميم وتطبيقه على كل محتويات قاعدة البيانات، وتخصيص صفحة لكل كاتب/ة.

حسنا، بعد هذا الشرح الممل، ماذا يعني لك النقل كقارئ؟

سيكون تصفح الملجة بطريقة موحدة، فالأعداد الستين الأولى كانت وحدات مستقلة عن بعضها. أما بعد النقل فإن جميع الأعداد ستكون في مكان واحد، وهو قاعدة البيانات، وسيكون الانتقال من عدد إلى آخر سهلا جدا.

كذلك، فإن البحث عن مادة منشورة في أعداد المجلة سيكون في كل الأعداد مرة واحدة. كل الأعداد ستظهر ضمن تصميم موحد يتكيف مع نوع الجهاز المستخدم، وهذا يعني إمكانية تصفح أعداد المجلة باستخدام الهاتف الجوّال، فالإحصاءات تظهر أن أغلبية زيارات موقع المجلة تتم باستخدامه.

ماذا يعني لك النقل ككاتب/ة؟

سيكون لكل كاتب/ة صفحة لها عنوان ثابت في موقع المجلة. وستظهر في الصفحة قائمة بعناوين المشاركات مع رابط لها. يمكنك الوصول إلى صفحتك بالضغط على اسمك الذي يظهر تحت أي من مشاركاتك في المجلة.

أذكّر الكاتبات والكتاب بأن نشر موضوعاتهم في المجلة تم ويتم على أساس اتفاق قانوني وأخلاقي يقضي بأن النشر حصري في المجلة، ولذا يمنع منعا باتا إعادة نشر مادتك المنشورة في المجلة في أي مكان آخر، بما في ذلك مواقع التواصل الاجتماعي. يمكنك الترويج لمادتك باستخدام رابط ينقل القراء إلى موقع عود الند.

مخالفة الاتفاق الذي تم النشر لك على أساسه في عود الند قاد وسيقود إلى التوقف عن النشر للمخالفين. إضافة إلى ذلك، عود الند لا تعفيك من المسؤولية القانونية والأخلاقية. وتمثل مخالفتك للاتفاق دليلا على عدم احترامك للاتفاقات التي تعقدها مع الآخرين.

عود الند أرشيف ثقافي مفتوح 24 ساعة يوميا كل أيام السنة، ولا حاجة لتكرار نشر مادتك في أي مكان آخر. الأفضل أن تذكر القراء بمادتك بتزويدهم برابط للذهاب إلى موقع عود الند حيث تعيش كتاباتك معززة مكرمة منذ يوم نشرها.

مع أطيب التحيات

د. عدلي الهواري
الناشر ورئيس التحرير
مجلة عود الند الثقافية

4212-ISSN 1756
www.oudnad.net

«عـود الـنـد» فـي سـطـور

- صدر العدد الأول من مجلة «عـود الـنـد» الثقافية مطلع شهر حزيران (يونيو) 2006. وصدرت شهريا عشر سنوات متالية.
- حصلت «عـود الـنـد» من المكتبة البريطانية على رقم التصنيف الدولي للدوريات في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 2007. الرقم الخاص بـ«عـود الـنـد» هو: ISSN 1756-4212
- شارك في «عـود الـنـد» كاتبات وكتاب محترفون ومبتدئون من الدول العربية والمهجر.
- بعد اتمام العام العاشر، وصدور 120 عددا شهريا، تقرر تحويل المجلة إلى فصلية.
- ناشر المجلة د. عدلي الهواري. له كتابان بالإنجليزية، وثمانية بالعربية، من بينها:
    - **الديمقراطية والإسلام في الأردن؛ بيروت 1982: اليوم «ي»؛ اتحاد الطلبة المغدور؛ غسّان يبتسم؛ كلمات عود الـنـد.**

www.oudnad.net